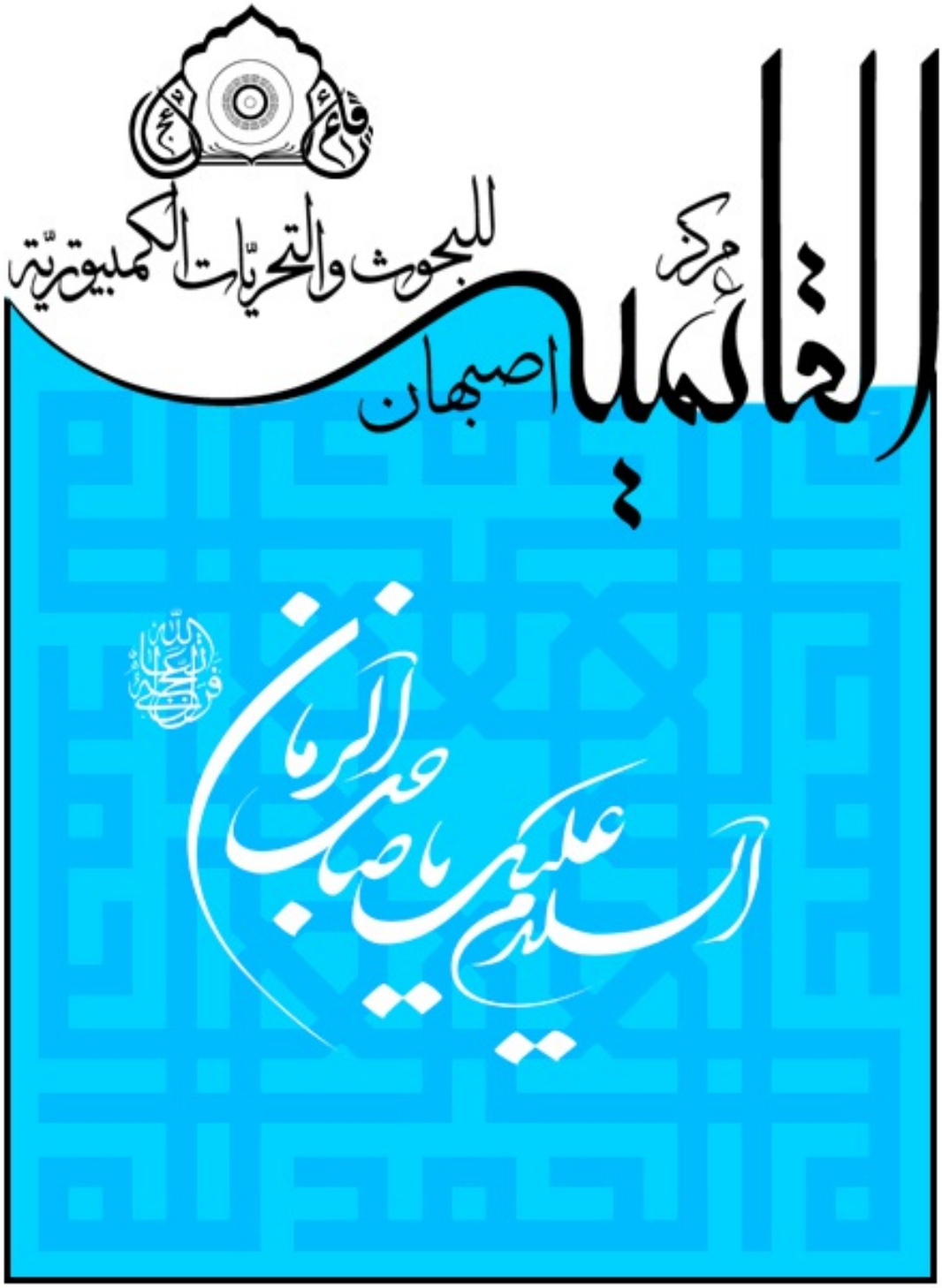

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام السجاد عليه السلام

قدوة و أسوة

محمد تقي المدرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام السجاد عليه‌السلام قدوة و أسوة

كاتب:

محمد تقى المدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين عليه‌السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام السجاد علیه‌السلام قدوة و أسوة ----- ۶
اشارة ----- ۶
تمهید ----- ۶
لمحة عن الإمام ----- ۷
اشاره ----- ۷
الامام السجاد وریث الأنبیاء ----- ۹
استجابة دعائه ----- ۱۳
میلاده و عصره ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
ام السجاد ----- ۱۴
بعد عاشوراء ----- ۱۵
منهاج الإمام فی التربیة الروحیة ----- ۱۶
دور الإمام فی الاعلام الرسالی ----- ۱۹
اشاره ----- ۱۹
الدعاء مدرسة و منبر ----- ۲۱
الشعر منبر سیار ----- ۲۲
رسالة الحقوق ----- ۲۳
کراماته و شهادته ----- ۲۳
پاورقی ----- ۲۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۷

الامام السجاد علیه‌السلام قدوة و أسوة

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمد تقی، ۱۹۴۵- م.
Mudarrisi, Muhammad Taqi
عنوان و نام پدیدآور : الامام السجاد علیه‌السلام قدوه و اسوه/محمدتقی المدرسی .
مشخصات نشر : تهران: دارالمحبی الحسین علیه السلام، ۱۳۸۸.
مشخصات ظاهری : ۸۸ ص.؛م.س. ۱۱/۵ X ۱۶/۵
شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۴۲۷-۰۹۰۱
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی
یادداشت : چاپ قبلی: مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۹.
یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس
موضوع : علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق.
رده بندی کنگره : BP۴۳/م۴الف۸ ۱۳۸۸
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۴
شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۵۰۸۸۰

تمهید

وأنا أقرأ حیاة الإمام السجاد (ع)، حاولت أن أرسم فی ذهنی صورة متکاملة عن شخصیته وما کدت أنتهی من ذلک حتی تذکرت آیات الذِّکر التی ترسم صورة عباد الله الصالحین. عندما نتدبر فی تلک الآیات، یوسوس الشیطان فی أنفسنا. هل إنها تحدِّثنا عن بشر أمثالنا أم عن ملائکة خُلقوا من نور قدرة الله؟. أم أنها روائع أدبیة؟. حاشا لله تعالی أن تکون فی کلمات الله ذرة من المبالغة. أولیست المبالغة کذباً؟. والکذب من الباطل الذی لا یأتی کتاب الله الکریم. ونحن نعرف الحقیقة تماماً حینما نتلو قصص الأنبیاء والأئمة وندرک أن تمثیل تلک الصورة المشرقة التی تعکسها الآیات عن حیاة عباد الله الأبرار أنه حقیقة واقعة، ونَفهم أننا مدعوُّون لاتِّباعهم فیها.. وبهذا بالذات تکمن حکمة الولایة حیث أمرنا الله أن نبتغی الوسیلة إلیه سبحانه عبر ولایة أولیائه. وأن نطلب منه الهدی کما هدی الذین أنعم علیهم، وأن نرکع مع الراکعین. ونکون مع الصادقین، ونرجو الإلتحاق برکب الصالحین. إن ولایة أولیاء الله تجعلنا نتلمس سیرة حیاتهم النیِّرة، وحین نتعرف عن کثب علیهم نتحصن ضد وساوس الشیطان الذی یوحی إلی أولیائه أن تمثیل صفات القرآن هذه مستحیل، أو أنها إنما ذُکرت تشجیعاً، أو هی روائع أدبیة بلیغة. إن هذا الوسواس أعظم مکائد الشیطان فی إغواء البشر عن معارج الکمال الإلهی.. ولا یقضی علیه شیء مثل دراسة حیاة الأنبیاء والأئمة والصدِّیقین باعتبارهم بشراً أمثالنا أنعم الله تعالی علیهم ورفعهم إلیه مقاماً محموداً. ومنذ ثلاث وعشرین عاماً أنعم الله علیّ بالتألیف عن حیاة الأئمة الهداة، عبر مناسبات نادرة. لذلک لم أُوفق لإکمال سلسلة قدوة وأسوة.. حول النبی وأهل بیته الکرام صلوات الله علیهم أجمعین. والیوم حیث وفقنی الله سبحانه لکتابة تدبُّراتی فی القرآن، والتی سمیتها (من هدی القرآن) أعود إلی هذه السلسلة عسی الله تعالی أن یوفقنی هذه المرة لإتمامها. ولکن کنت أتساءل: ماذا أسمِّی هذه السلسلة التی بقی منها أربعة أجزاء من أصل أربعة عشر جزءاً. وأخیراً وقعت علی اسم مناسب وهو: (النبی

وأهل بيته قدوة واسوة). وحيث إن القرآن هدى للمتقين، وحياة الأئمة تمثيل للقرآن فقد جاء الاسم مناسباً لذلك، كما أنه تناغم مع اسم كتابى (من هدى القرآن) ولكن ازدادت حيرتى عندما وقفت على شاطئ بحر زخار ماذا اغترف منه وأقدمه للأخوة القرَّاء، وقد كتبت من المذكرات حول حياة الإمام (ع) ما تكفى لكتابة مجلد كبير. بيد أنى حكمت على نفسى بالكتابة المختصرة، وهنا يكمن سبب حيرتى ماذا أختار من حياته التى لا يتسع قلم مثلى لاستيعابها. وهكذا أستميحكم عذراً لو وجدتم قصوراً أو تقصيراً واسعَين فى الحديث عن حياته الكريمة، واعتبروا هذه الدفاتر مدخلاً إلى الكتب المفصلة عن حياته. وأسأل الله تعالى أن يوفقنى لذلك، وأن يحفظ عملى من شوائب الرياء والسمعة والأشر والبطر، ويتقبله ويحصنه من الإحباط بالعُجب والذنب، إنه ولى التوفيق.

لمحة عن الإمام

اشاره

تتملَّكنا الدهشة عندما نستمع إلى الوحى يأمرنا بالولاية، ونتساءل: ما هذا التأكيد المتواصل، وما هذه التعابير البالغة أمراً وتحريضاً وترغيباً؟. يقول الله سبحانه: [أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ] (النساء/۵۹). وتتكرر أوامر القرآن بالطاعة لأولى الأمر الشرعيين والتسليم لأمرهم، والنهى عن طاعة الطغاة والجبابرة وضرورة الكفر بهم أكثر من مئة مرة، بصيغ مختلفة، وضمن سياقات شتى، كلها تهدف إلى ترويض النفس البشرية على الطاعة والانضباط.. ويقول سبحانه وتعالى: [فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً] (النساء/۶۵) وتتواصل آيات الذكر لتؤكد على الرجوع إلى الله ورسوله عشرات المرات وبتعابير شتى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً] (النساء/۶۰). وهكذا العديد من الآيات تنهى وبشدة بالغة من التحاكم إلى الطاغوت وتأمر باجتنابه. ويقول ربُّنا سبحانه وهو ينهى مئات المرات عن الشرك ويعتبره ظلماً عظيماً لايغفره الله تعالى أبداً، يقول: [وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ] (الزمر/۶۵). فما هو الشرك؟ أليس هو عبادة الأصنام؟ أليس أتخاذ الأرباب من دون الله شركاً، كما اتخذ اليهود والنصارى الأحبار والرهبان أرباباً؟.. وهكذا نجد أن الولاية الإلهية محور آيات الذكر وروح توحيد الله تعالى، والسبيل إلى رضوانه، والطريق إلى جنَّاته. فلماذا كل ذلك؟. إن شرح حكمة ذلك يقتضى كتباً مفصلة. ولكننا نختصرها فى كلمات نرجو أن يسعفنا فيها تدبُّر القارئ الكريم، وآفاق ثقافته الإسلامية. أولاً: أمام الإنسان سبيلان: سبيل الله الذى يهديه إلى الجنة والرضوان، وسبيل الشيطان الذى يحمله إلى سواء الجحيم. ويتَّجه كل سبيل إلى جهة، ولكل جهة إمام، ولكل إمام صفات وأسماء، ولكل أمة تابعة صبغةٌ وشرعةٌ ومنهاجٌ! والصراع الأبدى الذى لا هدنة فيه ولا مداهنة ولا حلول وسط، أنه الصراع بين سبيل الله وسُبُل الشيطان. وقد قال سبحانه: [يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] (المائدة/۱۵-۱۶). وولاية الله سبحانه، وتولى أوليائه، واتِّباع الإمام المختار من عنده، والإنخراط فى حزب الصالحين، كلُّها بلا ريب الولاية الإلهية. فكيف لا تتواصى بها رسالات الله ورُسله وأوصياؤهم. ثانياً: حكمة وجود الإنسان فوق هذا الكوكب ابتلاؤه ليَعلم هل يَصدق أم هو من الكاذبين؟. هل يُخلص أم يكون من المنافقين؟. ولا يُبتلى البشر بشىء كما يبتلى باتِّباع القيادة الإلهية ورفض جبابرة المال وطغاة السلطة، أو تدرى لماذا؟ إن فى ضمير الإنسان كبراً لابد أن يتغلب عليه حتى يصبح من أهل الجنة. وإن لم يتخلص منه باجتهاده وجهاده فى الدنيا، فإنه سوف يخلص منه بنار الجحيم فى الآخرة، لأنه لايدخل الجنة مَن كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر. ومحتوى الكبر النزعة السخيفة نحو ادِّعاء الربوبية. ولو تسنى لأى إنسان ما تسنى لفرعون لما امتنع عما قاله: [أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى] (النازعات/۲۴). وإنما يتطهر القلب عن الكبر إذا أُمر بطاعة مَن ليس بأكثر منه مالاً

وولداً. إطاعته بسبب أمر الله. وهكذا كانت الفتنة الكبرى للناس عند ابتعاث الرسل، إذ كيف يطيعون بشراً من أمثالهم؟. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: [أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ] (القمر/۲۴). ويتساءل البسطاء: لماذا امتحن الله تعالى خلقه بطاعة الأنبياء وطاعة أوصيائهم، وقد اختارهم من أوساط الناس؟. ويمضى المتسائل قائلاً: أولم يكن من الأفضل أن يزوِّدهم الله سبحانه بقوى خارقة وبأموال وبنين حتى تسهل طاعة الناس لهم؟ كلا.. لأنه عندئذ كانت تبطل حكمة الإبتلاء، ولم تكن تصبح طاعتهم تطهيراً للنفوس من الكبر، وبالتالى لم يكن المطيعون لهم يزكّون بذلك إعداداً لدخول الجنة التى هى مأوى عباد الله الخالصين من دنس الشِّرك والكبر. وهكذا يبين هذه الحكمة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) إذ يقول: «ولو أراد الله أنْ يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رداؤه، وطيبٍ يأخذ الأنفاس عَرفُه لَفعل. ولو فعل لَظلت له الأعناق خاضعة، ولخفَّت البلوى فيه على الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للإستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم» [۱] . ويضيف الإمام (ع) فى ذات السياق قائلاً: «ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه - حيث بعثهم - أن يفتح لهم كنوز الذُّهبان ومعادن الْعُقيان، ومغارس الجنان، وأنْ يحشر معهم طيور السماء، ووحوش الارض لَفعل. ولو فعل لَسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنباء، ولَما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماء معانيها. ولكن الله سبحانه جعل رُسله أولى قوة فى عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً» [۲] . وبعد بيان مفصل حول حكمة الاختبار فى فصل زخارف الدنيا عن أولياء الله يقول سلام الله عليه: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبَّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل فى نفوسهم. فالله الله فى عاجل البغى، وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى، التى شاور وقلوب الرجال مشاورة السموم القاتلة» [۳] . وهكذا حرَّض الوحى على التسليم للأنبياء وأولى الأمر من خاصتهم، وجعل فيه ثواباً عظيماً. وجاء فى حديث مأثور عن النبىِّ (ص)، أنه قال: «إنّ أوثق عُرى الإيمان: الحب فى الله، والبغض فى الله، وتولّى أولياء الله، وتعادى عدوَّ الله» [۴] . وروى عن الإمام زين العابدين (ع) قوله: «مَن أَحبنا لا لِدُنيا يصيبها منّا، وعادى عدوَّنا لا لشحناء كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيامة مع محمد وإبراهيم وعلىّ» [۵] . وكما يتحدى الإنسان بالولاية نزعة الكبر وادِّعاء الربوبية فى ذاته، يتحدى بها نزعة الطمع وشهوات الدنيا، لأن من يطيع أولياء الله يحاربه طغاة الأرض والمترفون فى الدنيا بشتى وسائل الحرب، بالدعاية المضادة وبالتضييق الإقتصادى، وبالأذى الجسدى، وحتى بالتشريد والقتل. ولأن الولاية كانت امتحاناً عظيماً للإنسان، جُعلت شرطاً بقبول الأعمال، حيث إن هدف سائر الطاعات تذليل النفس البشرية المتفرعنة والمتجبرة. وتذليلها لطاعة ربها، وتطهيرها من عبودية الله عن دنس الكبر والشرك والشك. وهذا الهدف يبلغ قمته بالولاية، حيث يخضع البشر لبشر مثله لا يتميز عنه بجاهٍ عريض، ولا بثروة واسعة وإنما يأمره الله تعالى بذلك، وهذا ما تأباه النفس أشد الإباء. وقد سأل بعضُهم أن يَنزل عذابُ الله الواقع لكى لا يؤمن بالولاية. وها نحن نقرأ معاً أحاديث فى فضل الولاية، لنعرف مدى فضلها وكيف أنها قطب الرحى فى تعاليم الوحى. جاء فى حديثٍ مفصلٍ عن أمير المؤمنين (ع) فى إجابته لأسئلة زنديق: «إن الإيمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللسان كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله (ص) لمَّا قهرهم السيف وشملهم الخوف، فإنهم آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فالايمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلَّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره - كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد، كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلّا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحق» [۶] . ولذلك لم يقبل الله سبحانه طاعة عبد لم يقبل الولاية مهما اجتهد فى العبادة والطاعة. هكذا جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق (ع) عن آبائه (ع)، إذ قال: «مرّ موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء يدعو فانطلق موسى فى حاجته فغاب عنه سبعة أيام، ثم رجع إليه وهو رافع يَديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا موسى لَو دعانى حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتينى من الباب الذى أمرته به» [۷] . فولاية الإنسان

صبغة أعماله، إنْ خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرّ. لذلك جاء فى الحديث المأثور عن رسول الله (ص)، فيما رواه أبو سعيد الخدرى: «لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام، ثم ذُبح كما يذبح الكبش مظلوماً، لَبعثه الله مع النفر الذين يقتدى بهم، ويهتدى بهداهم، ويسير بسيرتهم إن جنة فجنة، وإن ناراً فنار» [۸] . وهكذا الولاية تكون وجهة المجتمع، وعليها يكون الحساب والجزاء. فقد روى عن الإمام على (ع) عن النبى (ص) عن جبرئيل (ع) عن الله عزّ وجلّ، قال: «وعزتى وجلالى لأُعذبنَّ كل رعية فى الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عزَّ وجلَّ، وإن كانت الرعية فى أعمالها برَّة تقية، وَلأعفونَّ عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى وإن كانت الرعية فى أعمالها طالحة مسيئة» [۹] . فَضمنَ إطار الولاية الإلهية لابد أن نعرف شخصية الإمام السجاد (ع) وأبعاد حياته. إنه لم يكن كسائر الأنبياء والأئمة. ولا يكون خلفاؤهم من الصدِّيقيين والعلماء الربانيين طُلاب حكم وسيطرة، أو قادة حركات سياسية كالتى نفهمها. لا- ولكنهم سعوا جاهدين من أجل تطهير قلوب الناس من الجبت، ومجتمعاتهم من الطاغوت. ولكن ذلك لم يكن حكمة حياتهم الأولى حتى نقول: إنهم قد فشلوا فى تحقيق ذلك، وإنما كانت الحكمة الأولى ابتلاء الناس، حيث قاموا بتلاوة وحى الله وبتعليم الناس وتزكيتهم. وقد قال ربُّنا سبحانه: [هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ] (الجمعة/۲). بلى، كان من الأهداف السامية لبعثة الرسل، ونهضة اوصيائهم، وقيام أوليائهم، إعداد الناس للقيام بالقسط. ولا أقول قيامهم بالقسط بين الناس، لأن ذلك يوحى بالوكالة فى ذلك، وهذا ما ينفيه الوحى ببلاغة نافذة. فاستمع إلى قول ربِّك العزيز: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ] (الحديد/۲۵).

الامام السجاد وريث الأنبياء

ولأن الإمام زين العابدين (ع) ورث عن جده النبى المصطفى (عليه وآله الصلاة والسلام) دور الأنبياء، فإن الحكمة الأولى لإمامته هى ذات الحكمة الأولى فى رسالة الأنبياء، ابتلاء الناس بعد دعوتهم إلى الله، وكانت سائر الأهداف السامية - كإقامة القسط ونصرة المظلومين - فى امتداد تلك الحكمة، أى أنها تتفرع منها وتأتى بعدها. ولقد تسنَّت لسائر أئمة الهدى (ع) الظروف للقيام بتلك الأهداف المتدرجة، وبالذات الهدف السياسى، كما فعل الإمام على (ع) عندما نهض بأعباء الحرب ضد قريش مرتين، مرة فى عهد النبى وتحت لوائه، ومرة بعد النبى وتحت لواء الرسالة الحنفية وبرفقة أصحاب النبى (ص). وهكذا نجله الإمام الحسن (ع). حيث نهض هو الآخر بأعباء الحرب ضد معاوية، ثم أوقف الحرب لمصلحة المسلمين. وكذلك الإمام الحسين (ع) حيث قاوم معاوية بالسبل السلمية، وقام ضد ابنه يزيد بالسيف حتى استُشهد مظلوماً. وهكذا قام سائر الأئمة بأدوار سياسية، وبوسائل غير مباشرة، وبدرجات مختلفة. بينما الظروف العامة كانت تناسب تمخض الإمام السجاد (ع) تقريباً فى الدعوة الربانية، حسبما نبين ذلك فى مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى. وبذلك كانت حياة الإمام السجاد قطعة مشرقة بنور ربِّه.. وكانت تجلياً باهراً للإيمان الخالص بالله، وللهيام الشديد بالله، وللعبادة والتبتل. وحينما نقرأ معاً صفات الإمام على لسان نجله الإمام الباقر (ع)، نعرف ماذا تعنى ولاية الله، وولاية أوليائه، ولماذا التأكيد عليها، وكيف كانت حياة السجاد شلال نور إلهى. يقول نجله الإمام الباقر (ع): «كان على بن الحسين (ع) يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع). كانت له خمسمائة نخلة. فكان يصلى عند كل نخلة ركعتين، وكان إذا قام فى صلاته غشى لونه لون آخر، وكان قيامه فى صلاته قيام العبد الذليل بين يدى الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزَّ وجلَّ، وكان يصلى صلاة مودِّع يرى أنه لا يصلى بعدها أبداً، ولقد صلَّى ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوِّه حتى فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: ويحك أتدرى بين يدى مَن كنت؟ إنَّ العبد لا يُقبل من صلاته إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه. فقال الرجل: هلكنا، فقال: كلاَّ.. إن الله عزَّ وجلَّ متمم ذلك بالنوافل وكان (ع) لَيخرج فى الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتى باباً باباً فيقرعه، ثم يناول مَن يخرج إليه.

وكـان يغطى وجهه إذا نـاول فقيراً لئلاـ يعرفه. فلمـا توفى (ع) فقـدوا ذلـك، فعلموا أنه كان على بن الحسـين (ع). ولما وُضع (ع) على المغتسـل نظروا إلى ظهره وعليه مثل رُكَبِ الإبل. مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين. ولقـد خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلّق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشترى الخزَّ فى الشتاء، إذا جاء الصيف باعه فتصدق بثمنه، ولقد نظر (ع) يوم عرفـة إلى قوم يسألون الناس، فقال: ويحكم أغير الله تسألون فى مثل هـذا اليوم، إنّه ليُرجى فى هذا اليوم لِمَا فى بطون الحبالى أنْ يكون سـعيداً؟. ولقـد كـان (ع) يـأبى أن يؤاكـل أُمَّه، فقيـل له: يـابن رسول الله أنت أبرُّ النـاس وأوصـلَهم للرحم، فكيف لا تؤاكل أمَّك؟ فقـال: إنى أكره أنْ تسـبق يـدى إلى مـا سـبقت عينهـا إليه. ولقـد قال له رجل: يابن رسول الله إنى لأحبُّك فى الله حبّاً شديـداً، فقال: اللهم إنى أعوذ بك أن أُحبَّ فيك وأنت لى مبغض. ولقد حج على ناقة له عشـرين حجة فما قرعها بسوط، فلما نفقت [۱۰] أمر بدفنها لئلا يأكلها السباع. ولقد سـئلت عنه مولاة له فقالت: أُطنب أو اختصـر؟ فقيل لها: بل اختصـرى، فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، ومـا فرشت له فراشـاً بليلٍ قط. ولقـد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فغفر الله لى، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم. وكان (ع) إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصـيِّ رسول الله (ص). ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلَيه على رَطب ولا يابس من الأرض، إلّا سبَّحت له إلى الأرضـين السابعة، ولقد كان يعول مئة أهل بيت من فقراء المدينة. وكـان يعجبه أن يحضـر طعامه اليتامى والأضـرار والزّمنى والمساكين الـذين لا حيلـة لهم. وكان يناولهم بيـده، ومن كان له منهم عيال حمـل له إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبـدأ فيتصـدق بمثله. ولقـد كان تسـقط منه كل سـنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صـلاته، وكان يجمعها، فلما مات دُفنت معه. ولقد بكى على أبيه الحسـين (ع) عشرين سنة، وما وضُع بين يَديه طعام إلّا بكى، حتى قـال له مولى له: يابن رسول الله أَمَا آن لِحُزنك أن ينقضـى؟. فقال له: ويحك، إن يعقوب النبيَّ (ع) كان له اثنى عشـر ابناً فغيَّب الله عنه واحـداً منهم، فـابيضَّت عينـاه من كثرة بكـائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحـدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً فى الـدنيا وأنـا نظرت إلى أبى وأخى وعمى وسـبعة عشـر من أهـل بيتى مقتولين حولى فكيف ينقضـى حزنى؟» [۱۱] . وقـد زخرت كتب التاريـخ بكرامات الإمام [۱۲] ولا عجب فإن إماماً هـذه صـفاته، يكرمه الله بفضـله، أولم يكرم الله عباده الصالحين باسـتجابة دعواتهم؟ وقد قال سـبحانه: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْـتَجِبْ لَكُمْ] (غافر/۶۰). فكيف لا يسـتجيب لمن ذاب فى حب ربه حتى خشـى عليه الهلاك من شـدة العبادة. ولننظر معاً فى الروايـة التالية ثم نقيسـها بما نعرفه من قصـص القرآن حول الصالحين من عباد الله، نرى أنهما نبعان من عين واحـدة. عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصـلى، قال كل واحد منهما: كنت أسـيح فى البادية مع القافلة، فعرضت لى حاجة فتنحيت عن القافلة، فإذا أنا بصبى يمشـى، فقلت: سـبحان الله بادية بيداء وصبى يمشـى؟. فدنوت منه وسـلَّمت عليه، فردّ علىَّ السـلام. فقلت له: إلى أين؟. قال: أريد بيت ربِّى. فقلت: حبيبى، إنك صـغير ليس عليك فرض ولا سـنَّة. فقال: يا شـيخ ما رأيت من هو أصـغر سـنّاً منى مات؟ فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادى تقواى، وراحلتى رجلاى، وقصدى مولاى. فقلتُ: ما أرى شيئاً من الطعام معك؟ فقال: يا شيـخ هل يسـتحسن أن يدعوك إنساناً إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟. قلت: لا، قال: الذى دعانى إلى بيته هو يطعمنى ويسـقينى. فقلت: ارفع رجلك حتى تـدرك [۱۳] فقال: علىَّ الجهاد، وعليه الإبلاغ. أما سـمعت قوله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] (العنكبوت/۶۹). قال: فبينما نحن كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصبى وسلَّم عليه. فأقبلتُ على الشاب وقلت له: أسألك بالذى حَسَّن خلقك مَن هذا الصبى؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب. فتركت الشاب وأقبلت على الصبى، وقلت: أسألك بآبائك مَن هـذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا أخى الخضـر، يأتينا كلَّ يوم فيسـلِّم علينـا. فقلت: أسألـك بحق آبائـك لمـا أخبرتنى بما تجوز المفاوز بلا زاد؟ قال: بل أجوز بزاد، وزادى فيها أربعـة أشـياء. قلت: وماهى؟ قال: أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإماؤه وعياله، وأرى الاسـباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضـاء الله نافـذاً فى كل أرض الله. فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابـدين، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الـدنيا؟ [۱۴] . وقصـة مشابهـة يرويها حماد بن حبيب الكوفى القطان فيقول: انقطعت عن القافلـة عنـد زبالـة [۱۵] فلمـا أجنَّنى الليل أويت إلى شـجرة

عالية. فلما اختلط الظلام إذا أنا بشاب قد أقبل عليه أطمار بيض تفوح منه رائحة المسك. فأخفيت نفسى ما استطعت. فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائماً وهو يقول: يا من حاز كل شىء ملكوتاً، وقهر كل شىء جبروتاً، أولج قلبى فرح الإقبال عليك، وألحقنى بميدان المطيعين لك، ثم دخل فى الصلاة. فلما رأيته وقد هدأت أعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذى تهيأ فيه إلى الصلاة، فإذا أنا بعين تنبع. فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فإذا بمحراب كأنه مثل فى ذلك الوقت فرأيته كلما مر بالآية التى فيها الوعد والوعيد يرددها بانتحاب وحنين. فلما أن تقشع الظلام وثب قائماً وهو يقول: يا من قصده الضالون فأصابوه مرشداً، وأَمَّه الخائفون فوجدوه معقلاً، ولجأ إليه العابدون فوجدوه موئلاً. متى راحة مَن نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بِنيته؟ إلهى قد تقشّع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً، ولا من حياض مناجاتك صدراً، صلِّ على محمد وآله وافعل بى أولى الأمرين بك يا أرحم الراحمين. فخفت أن يفوتنى شخصه وأن يخفى على أمره، فتعلقت به فقلت: بالذى أسقط عنك هلاك التعب، ومنحك شدة لذيذ الرهب، إلّا ما لحقتنى منك جناح رحمة وكنف رقة، فإنى ضال. فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالاً، ولكن اتبعنى واقفُ أثرى. فلما ان صار تحت الشجرة أخذ بيدى وتخيل لى أن الأرض تمتد من تحت قدمى، فلما انفجر عمود الصبح قال لى: أبشر فهذه مكة، فسمعت الضجة ورأيت الحجة، فقلت له: بالذى ترجوه يوم الآزفة يوم الفاقة، مَن أنت؟ فقال: إذا أقسمت فأنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب [۱۶] . ألم أقل لك إنه كان ومضة نور وشلّال إيمان، وقبساً من وهج الرسالة؟.. كان الظلام يخيم على طرقات المدينة وقد أوى الناس إلى بيوتهم، والسماء تمطر ورياح الشتاء الباردة تعصف.. فيقول: الزهرى: رأيته (ع) يمشى وعلى ظهره دقيق. فقلت يابن رسول الله، ما هذا؟. قال (ع): أريد سفراً أعد له زاداً أحمله إلى موضع حريز. فقال الزهرى: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى (ع). فقال الزهرى: أنا أحمله عنك فأنى ارفعك (وأجلُّك) عن حمله. فقال على بن الحسين (ع): لكنى لا أرفع نفسى (ولا أجل نفسى) عما ينجينى فى سفرى، ويحسن ورودى على ما أرد عليه. وأضاف الإمام قائلاً: أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتنى. فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قال له يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً. قال: بلى يا زهرى!. ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله استعدّ، وأضاف الإمام لبيان هدف حمله تلك البضاعة فى الليل إلى بيوت الفقراء: إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل النفوس فى الخير [۱۷] . إن جذور شخصية الإمام زين العابدين تمتد فى أفق معرفته بالله تعالى، ويقينه باليوم الآخر، ووعيه للسرعة الخاطفة التى تبتلع ساعات الليل والنهار من عمر البشر، وتزاحم الواجبات عليه!. حينما يسأله رجل كيف أصبحت يابن رسول الله؟ يقول: أصبحت مطلوباً بثمان: الله يطلبنى بالفرائض، والنبى (ص) بالسنّة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان باتِّباعه، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد. فأنا بين هذه الخصال مطلوب [۱۸] . إنه كان مثلاً رائعاً للآية الكريمة: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (آل عمران/۱۹۱). لقد أحبَّ الله حتى فاضت على شفاهه روافد الحب فى صورة ابتهالات ومناجاة سجَّل التاريخ جزءاً بسيطاً جدّاً منها فى صحيفته المعروفة بـ (السجادية).. فلنستمع معاً إلى هذه الرائعة التى تبهر الأبصار: «فقد انقطعتْ إليك هِمَّتى، وانصرفتْ نحوك رغبتى. فأنتَ لا غيرك مرادى، ولك لا لسواك سهرى وسُهادى، ولقاؤك قرة عينى، ووصلك مُنَى نفسى، وإليك شوقى، وفى محبتك وَلَهى، وإلى هواك صبابتى، ورضاك بُغيتى، ورؤيتك حاجتى، وجوارك طلبى، وقربك غاية سؤلى، وفى مناجاتك رَوحى وراحتى، وعندك دواء علتى، وشفاء غُلتى، وبردُ لوعتى، وكشفُ كربتى، فكن أنيسى فى وحشتى، ومُقيل عثرتى، وغافر زلتى، وقابل توبتى، ومجيب دعوتى، ووليّ عصمتى، ومغنى فاقتى، ولا تقطعنى عنك، ولا تبعدنى منك، يا نعيمى وجنتى، ويا دنياى وآخرتى، يا أرحم الراحمين» [۱۹] . فأىُّ قلبٍ مفعم بالإيمان هذا الذى يفيض بهذه الكلمات المضيئة؟!.. وأى فؤاد ملتهب بالشوق إلى الله، متيم بحب الله، يشع بهذه المناجاة؟. إنّه قلب ذلك الإمام الذى كانت الصلاة أحب الأمور إليه. وكان الذكر شغله الشاغل والعبادة صبغة حياته! فقد دخل على الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عينَى على بن الحسين (ع)، فقال: يا أبا محمد لقد بيَّن عليك الإجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب وكيد

السبب. وإنك لـذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوى عصـرك، ولقد أوتيتَ من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولا ـ قبلـك، إلاّ مَن مضـى من سـلفك.. وأقبل يُثنى عليه ويطريه.. قال: فقال على بن الحسـين (ع): «كلّما ذكرته ووصـفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه. فأين شـكرُه على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟. كان رسول الله (ص) يقف فى الصـلاة حتى تورّمت قدماه، ويظمأ فى الصـيام حتى يُعصب فوه، فقيـل له: يـا رسول الله ألم يغفر لـك الله مـا تقـدم من ذنبـك ومـا تـأخر؟ فيقول (ص) أفلا ـ أكون عبـداً شكوراً؟. الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد فى الآخرة والأولى. والله لو تقطعت أعضائى، وسالت مقلتاى على صدرى، لن أقوم لله جـل جلاله بشـكر عَشـر العشـير من نعمـة واحـدة من جميع نعمه الَّتى لا يحصـيها العادُّون، ولا يبلغ حـدّ نعمـة منها على جميع حمد الحامـدين، لا ـ والله أو يرانى الله لا ـ يشـغلنى شـىء عن شـكره وذكره، فى ليـل ولا نهار، ولا سـر ولا علانيـة. ولولا أن لأهلى عَلَىَّ حقاً، ولسـائر النـاس من خاصـهم وعـامهم عَلَىَّ حقوقـاً لا ـ يسـعنى إلاّ ـ القيام بها حسب الوسع والطاقـة حتى أؤديها إليهم، لَرميتُ بطرفى إلى السماء، وبقلبى إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضى الله على نفسى وهو خير الحاكمين». وبكى (ع) وبكى عبد الملك وقال: شتان بين عبـد طلب الآـخرة وسـعى لهـا سـعيها، وبين من طلب الـدنيا من أين جاءته، ماله فى الآخرة من خلاق. ثم أقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشـفّعه فيمن شفَّع، ووصله بمال [۲۰] . وعنـدما يراه طـاوس فى أخريات الليل يطوف بالبيت الحرام يرى منه عجباً حتى يشـفق عليه فلنسـتمع إليه، يروى قصـته: رأيته يطوف من العشـاء إلى السَّحر ويتعبـد، فلمّـا لم يَرَ أحـداً رمق السـماء بطرفه، وقال: «إلهى غارت نجوم سـماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابُك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لى وترحمنى، وترينى وجه جَدِّى محمد (ص) فى عرصـات القيامـة». ثم بكى وقـال: «وعزتك وجلالك ما أردت بمعصـيتى مخالفتك، وما عصـيتك إذ عصـيتك وأنا بك شاكٌّ، ولا بنكالـك جاهـلٌ، ولا ـ لعقوبتك متعرضٌ، ولكن سوَّلت لى نفسـى، وأعاننى على ذلك سترُك المرخَى به عَلَىَّ. فالآن من عـذابك من يسـتنقذنى؟. وبحبـل مَن أعتصم إنْ قطعتَ حبلـك عنى؟. فواسوأتاه غـداً من الوقوف بين يَـديك، إذا قيل للمخفِّين جوزوا، وللمثقَلين حُطُّوا. أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أَحـط؟ ويلى كلما طال عمرى كثرت خطاياىَ ولم أتب، أما آن لى أن أسـتحى من ربِّى؟!». ثم بكى وأنشـأ يقـول: أتحرقنى بالنـار يـا غايـة المنى فـأين رجـائى ثم اين محبّـتى أتيتُ بأعمـالٍ قبـاحٍ زَرِيَّةٍ ومـا فى الـورى خلق جنى كجنايتى ثم بكى وقال: «سـبحانك تُعصَـى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تُعص تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدى الغنى عنهم». ثم خر إلى الارض ساجداً. قال: فدنوتُ منه وشلتُ برأسه ووضعتُه على ركبتى وبكيتُ حتى جرت دموعى على خـده، فاسـتوى جالساً وقال: «مَن الـذى أشـغلنى عن ذكر ربِّى؟» فقلتُ: أنا طاووس يابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنـا أن نفعـل هـذا ونحن عـاصون جـانون، أبوك الحسـين بن على وأُمـك فاطمـة الزهراء،و جـدك رسول الله (ص)؟! قال: فـالتفت إلىّ وقـال: «هيهات هيهات يا طاووس، دع عنى حـديث أبى وأمى وجـدى، خلق الله الجنـة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبـداً حبشـيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشـيّاً. أما سـمعتَ قوله تعالى: [فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسآءَلُونَ] (المؤمنون/۱۰۱)؟. والله لا ينفعك غـداً إلاّ تقدمة تقدمها من عملٍ صالح» [۲۱] . ولأنه أحب الله فوّض إليه أمره وسـلّم له أشد التسليم، وهو (ع) يروى عن نفسه القصـة التاليـة فيقول: «مرضتُ مرضاً شديداً، فقال لى أبى: ما تشـتهى؟ فقلتُ: أشـتهى أنْ أكون ممَّن لا أقترح على الله ربِّى ما يدبِّره لى. فقال لى: أحسنتَ، ضاهيتَ إبراهيم الخليل صلوات الله عليه حيث قال جبرئيل: [۲۲] هل من حاجة؟. فقال: لا أقترح على ربِّى، بل حسبى الله ونعم الوكيل» [۲۳] . وهكذا أحبه الله تعالى وأكرمه ورفع شأنه، وأجرى على يديه تقديره، وألزم الناس ولايته. والقصة التالية تعكس مدى حب الله سبحانه للإمام زين العابدين (ع): والقصة يرويها طائفة من عُبَّاد البصرة وفقهاءها وهم ثابت البنانى، وأيوب السجستانى، وصالـح المرى، وعتبـة الغلام، وحبيب الفارسـى، ومالك بن دينار. وننقل فيما يلى نص ما جاء فى هامش كتاب بحار الأنوار (ج ۴۶، ص ۵۰) عن هؤلاء الْعُبَّاد بالترتيب: أولاً: ثابت البنانى: من التابعين وقد ترجمه أبو نعيم فى حلية الأولياء (ج ۲، ص ۳۱۸ إلى ص ۳۳۳) فقال: ومنهم المتعبـد الناحل، المتهجـد الـذابل، أبو محمد ثابت بن مسـلم البنانى، وذكر أنه أسـند عن غير واحـد من الصـحابة منهم: ابن عمر، وابن الزبير، وشـداد وأنس وأكثر الروايـة عنه. وروى عنه جماعـة من التـابعين منهم: عطـاء بن أبى

رياح، وداود بن أبى هند، وعلى بن زيد بن جدعان، والأعمش، وغيرهم. ثانياً: أيوب السجستانى: من التابعين. قال أبو نعيم فى حلية الأولياء، وقد ترجمه فى (ج ۳ من ص ۳ إلى ص ۱۳): ومنهم فتى الفتيان، سيد العبّاد والرهبان، المنوَّر باليقين والإيمان. السجستانى أيوب بن كيسان. كان فقيهاً محجاجاً، وناسكاً حجاجاً، عن الخلق آيساً، وبالحق آنساً. أسند أيوب عن أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمى. ومن قدماء التابعين، عن أبى عثمان الهندى، وأبى رجاء العطاردى، وأبى العالية، والحسن، وابن سيرين وأبى قلابة. وذكره الأردبيلى فى جامع الرواة (ج ۱، ص ۱۱۱) فقال: أيوب بن أبى تميمة، كيسان السجستانى العنزى البصرى، كنيته أبو بكر مولى عمار بن ياسر، وكان عمار مولى، فهو مولى مولى. وكان يحلق شعره فى كل سنة مرة، فإذا طال فَرَق. مات بالطاعون بالبصرة سنة ۱۳۱. ثالثاً: صالح المرى: هو ابن بشير، وصفه أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ۱۶۵) بقوله: القارئ الدرِى، والواعظ التقى، أبو بشير صالح بن بشير المرى، صاحب قراءة وشجن ومخافة وحزن. يحرك الأخيار، ويفرك الأشرار. اسند عن الحسن، وثابت، وقتادة، وبكر بن عبد الله المزنى، ومنصور بن زاذان وجعفر بن زيد، ويزيد الرقاشى، وميمون بن سياه، وأبان بن أبى عياش، ومحمد بن زياد، وهشام بن حسان، والجريرى، وقيس بن سعد، وخليد بن حسان فى آخَرِين. رابعاً: عتبة الغلام: هو الحر الهمام، المجلو من الظلام، المكلوء بالشهادة والكلام، قال عبيد الله بن محمد: عتبة الغلام هو عتبة بن أبان بن صمعة، مات قبل أبيه. وسئل رباح القيسى عن سبب تسمية عتبة بالغلام فقال: كان نصفاً من الرجال، ولكنّا كنّا نسميه الغلام لأنه كان فى العبادة غلامَ رهِان، استشهد وقتل فى قرية الحباب فى غزو الروم، ترجمه مفصلاً أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ۲۲۶ إلى ۲۳۸). خامساً: حبيب الفارسى: قال أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ۱۴۹): أبو محمد الفارسى من ساكنى البصرة، كان صاحب المكرمات، مُجاب الدعوات، وكان سبب إقباله على الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن بن أبى الحسن، فوقعت موعظته من قلبه.. وتصدق بأربعين ألفاً فى أربع دفعات. سادساً: مالك بن دينار أبو يحيى، وصفه أبو نعيم فى الحلية بقوله: العارف النظَّار، الخائف الجبَّار.. كان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكاً، وقد أطال فى ذكره (ج ۲، من ص ۳۵۷ إلى ص ۳۸۹).

استجابة دعائه

عن ثابت البنانى قال: كنت حاجّاً وجماعةَ عُبَّاد البصرة مثل أيوب السجستانى وصالح المرى وعتبة الغلام وحبيب الفارسى ومالك بن دينار. فلما ان دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث. ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألونا أن نستسقى لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فَمُنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتىً قد أقبل، قد أكربته أحزانُه، وأقلقته أشجانُه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البنانى، ويا أيوب السجستانى، ويا صالح المرى، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسى، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الأعمى، ويا رابعة، ويا سعدانة، ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لَبّيك وسعدَيك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمان؟. فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة. فقال: ابعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمان لأجابه. ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول فى سجوده: سيدى، بحبك لى إلاّ سقيتهم الغيث، قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه الْقُرَب، فقلت يا فتى: من اين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبنى لم يسترنى، فلما استزارنى علمتُ أنّه يحبنى، فسألتُه بحبه لى فأجابنى، ثم ولى عنّا وأنشأ يقول: من عرف الرب فلم يُغنه معرفةُ الرب فذاك الشقى ما ضرَّ فى الطاعة ما ناله فى طاعة الله وماذا لقى ما صنع العبد بغير التقى والعزُّ كلُّ العزِّ للمتَّقى فقلت: يا أهل مكة من هذا الفتى؟. قالوا: على بن الحسين (ع) بن على بن أبى طالب. وعن المنهال بن عمرو فى خبر قال: حججت فلقيت علىَّ بن الحسين (ع)، فقال: ما فعل حرملة بن كاهل؟. قلت: تركته حيّاً بالكوفة؛ فرفع يديه ثمَّ قال (ع): اللهمَّ أذِقْهُ حَرَّ الحديد، اللهمَّ أذِقْهُ حَرَّ النار. فتوجّهت نحو المختار، فإذا بقوم يركضون ويقولون البشارة أيّها الأمير، قد أُخِذَ حرملةُ، وقد كان توارى عنه، فأمر بقطع يديه ورجليه وَحرْقه بالنار. وكان زين العابدين (ع) يدعو فى كلِّ يوم أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلمّا قتل المختارُ قَتَلَهُ الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعث برأس عبيد الله

بن زياد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قِبَلِه إلى زين العابدين، وقال لرسوله: إنّه يصلّى من اللّيل، وإذا أصبح وصلّى صلاة الغداة هجع، ثمَّ يقوم فيستاك ويؤتى بغدائه، فإذا أتيت بابه فاسأل عنه، فإذا قيل لك: إنَّ المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين على مائدته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يابن رسول الله، قد بلّغك الله ثارك. ففعل الرَّسول ذلك: فلمّا رأى زين العابدين (ع) الرأسين على مائدته خرَّ ساجداً وقال: «الحمد لله الّذى أجاب دعوتى، وبلّغنى ثارى من قتلة أبى، ودعا للمختار وجزّاه خيراً» [۲۴] . وحينما نعرف جانباً من شخصية الإمام زين العابدين (ع) ومدى تفانيه فى ذات الله عزَّ وجلَّ وذوبانه فى تيار حبِّه سبحانه، وخلوصه من شوائب المصلحة المادية، نعرف – حينئذ – جانباً من حكمة الولاية، وذلك التأكيد الشديد عليها فى نصوص الإسلام. فمثل ولاية الإمام السجاد تصلح نفس الإنسان وتتسامى فى معارج الكمال، وإن ولاية الأنبياء والأوصياء تصبغ شخصية المجتمع المؤمن بصبغة الإيمان، وتيسر له العمل بتعاليم أولياء الله تعالى، والسعى وراء تمثيل شخصياتهم الإلهية، كما أن تلك الولاية تسقى روضة حب الله فى أفئدتهم، وتصونها من الذبول، لأن حب أولياء الله يفيض من حب الله كما تفيض الروافد من نبعٍ زخَّار، بل إن حب أولياء الله هو انبساط لحب الله، وأمثلة له وشواهد عليه!. وكيف يمكن أن يدَّعى أحد أنه يحب الله ثم لا يحب من هام فى حب الله حتى بلغ ما بلغه الإمام زين العابدين (ع) من العبادة والتهجد؟! أولم يقل ربُّنا العزيز: [قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ الله] (آل عمران/۳۱). فلنغترف من نبع حب الله فيضاً، وذلك بِحُبِّ أوليائه أكثر مما مضى، حتى نطهِّر أفئدتنا من أهواء الدنيا ومن أدران حب أهلها اللئام.

ميلاده و عصره

اشاره

كان الإمام زين العابدين (ع) فى قلب الأحداث السياسية التى ساهمت فى تكوين الأمة الإسلامية، ورَسْمِ ملامحها التاريخية.. لقد ولد (سلام الله عليه) فى بيت جدِّه على أمير المؤمنين (ع)، من نجله الكريم الإمام الحسين (ع)، عندما كان الإمام يخوض صراعاً مريراً مع أعداء الإسلام المتستِّرين فى الجمل وصِفين والنهروان، وكان والده الحسين (ع) قائداً فى جيش الإسلام – يومئذ – كما كان مضطلعاً مع والده بإدارة أمور المسلمين.. ولا ريب أن تلك الأحداث الرهيبة التى لازالت أصداؤها تدوى فى واقعنا حتى اليوم، ساهمت فى صنع شخصية الوليد الكريم الذى استقبله بيت الإمامة فى عام (۳۵) للهجرة الكريمة، عندما كانت الأمة الإسلامية تعيش غلياناً انتهى بمقتل الخليفة الثالث، وما أعبقه من فتنة بنى أمية فى المطالبة بدمه.

ام السجاد

جاء فى كتب التاريخ أن والدة الإمام السجاد (ع) هى (شهر بانو) بنت آخر ملوك الفرس، من سلسلة الساسانية (يزدجرد). وكانت الأمبراطورية الفارسية كأى نظام جاهلى آخر قائمٍ على الطبقية والظلم والعدوان، فلما أشرق نور الإسلام تهاوت كما تتهاوى شجرة منخورة أمام إعصارٍ عنيف، وانهزم الأمبراطور من بلد إلى آخر حتى قُتل غيلةً فى خراسان، وبقيت عائلته فى تلك البلاد حتى فتحت على عهد عثمان فى عام (۳۲) وجىء بهم إلى المدينة المنورة، فلما مثلوا أمام الخليفة الثالث وحضر كبار الأصحاب، أشار الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى الخليفة بإكرامهم ورغّبه فى ذلك بذكر حديث الرسول (ص): «أكرموا عزيزَ قومٍ ذَل». ولعل الحكمة فى ذلك كانت استمالة الشعوب التى لم تزل تحترم قيادتها وكرماءها، لكى لاتبقى بينهم وبين قبول الإسلام حواجز الحقد والضغينة. فلما تريث الخليفة فى ذلك قال الإمام أمير المؤمنين (ع): «اعتقتُ منهم لوجه الله حقى وحق بنى هاشم». وتبعه فى ذلك الأنصار والمهاجرون، فلم ير الخليفة بدّاً من قبول الأمر، فأشار الإمام أمير المؤمنين (ع) بأن تُترك كلُّ واحدةٍ لاختيار الزوج المناسب، فاختارت إحدى بنات

يزدجرد الحسين (ع)، بينما اختارت الثانية الحسن، وقيل محمد بن أبى بكر. فحملت شهر بانو فى تلك السنة. وفى منتصف شهر جمادى الأولى لعام ثلاث وثلاثين من الهجرة ولدت ابنها البكر، وماتت وهى فى نفاسها، فتكفلته واحدة من أمهات الأولاد عند الإمام الحسين (ع)، فنشأ زين العابدين فى كنفها، وكان يزعم الناس أنها أُمه بينما كانت مولاته [۲۵] . وفى السابعة من عمره استُشهد جدُّه الإمام أمير المؤمنين (ع) فى محراب مسجد الكوفة. وبعد أشهر عاد أهل البيت إلى المدينة حيث ترعرع على بن الحسين (ع) فى ربوعها المضوَّعة بعطر الرسول (ص)، فلما بلغ السابعة عشر اغتيل بالسم عمَّه الإمام الحسن المجتبى (ع). وعاش الإمام السجاد (ع) يمارس فى ظلال والده الإمام الحسين (ع) دور الريادة فى مواجهة الردة الجاهلية الأموية. وبالرغم من قلة المعلومات التى تفصّل طبيعة هذه المواجهة المتسمة بالهدوء وربما السرّية، فإن ما بقى لنا من خُطب الإمام الحسين (ع) ضد معاوية، وكتبه النارية الموجهة إليه، وما رافق عهد معاوية من انتفاضات بقيادة أصحاب الرسول الموالين لأهل بيته عليه وعليهم صلوات الله، أقول: إن ما بقى لنا من ذلك يُعطينا صورة كافية للحالة السياسية التى عاشها الإمام السجاد أيام والده (ع)، حينما كان فى مقتبل العمر.

بعد عاشوراء

ومهما كانت قوة الحركة السياسية فى عهد معاوية، فإنها كانت ناراً تحت رماد الهدوء السياسى الذى فرضه معاوية على الساحة بدهائه المعروف وبوسائله المختلفة من توزيع الأموال والمناصب ثمناً لسكوت الطامعين، وتوزيع العسل المسموم على الأحرار. وقد اشتهر عنه القول: إن لله جنوداً من عسل.. وهكذا كانت التيارات السياسية تنتظر بفارغ الصبر هلاك معاوية. ومن هنا أصبحت واقعة كربلاء صاعقاً فجَّر الثورات فى آفاق العالم الإسلامى، لأنها جاءت فى الوقت المناسب بعد هلاك وريث أبى سفيان، داهية العرب، فافتتحت عصر الثورات المناهضة للجاهلية المقنَّعة. فبعد شهادة السبط الشهيد (ع) انتفضت مدينة الرسول، وخلعت يزيد بن معاوية، وقام عبد الله بن الزبير بمكة يطالب بالخلافة، وثارت الكوفة بقيادة سليمان بن صرد، ثم بقيادة المختار. وهكذا أصبحت الثورات والإنتفاضات صبغة الحياة السياسية فى البلاد الإسلامية، واسلوباً شاخصاً لمواجهة الطغيان والفساد. ولذلك فإننا نستطيع أن نسمى عهد الإمام السجاد (ع)، خصوصاً فى بداياته - منذ واقعة عاشوراء - عهد الثورات والإنتفاضات. بيد أن الثورة بذاتها ليست هدفاً مقدساً، وإنما الهدف المقدس هو تلك القيم المتسامية التى تحركها، وإلّا فان ضررها يكون أكبر من نفعها. أوليست الثورة بذاتها حالة تمرد على النظام وتعكِّر جو الأمن، وتُثير الإضطراب، وتُريق الدماء؟ وبلى، فهى - إذاً - حالة استثنائية لا يحمدها العقلاء، ولكنها إنما تكتسب شرعيتها وقدسيتها من الغايات النبيلة التى تهدف إليها. فلأنها تخرج الناس من ظلمات الركود والجهل والظلم إلى نور النشاط والعقل والعدالة، أصبحت الثورة - بمعناها الشامل - صبغة حياة الأنبياء والأوصياء وعباد الله الابرار. ولأنها تزيل عن قلوب الناس رين الغفلة واللامبالاة، وعن تجمعاتهم سحابة الظلم والإعتداء، وعن مجتمعهم كابوس الطغيان والفساد، فقد أصبحت مسؤولية كلِّ حرٍّ أبيٍّ، ووسامَ حقٍّ لكلِّ ذى كرامة وشرف.. ومن هنا ركزت نصوص الوحى على هدف الثورات ضمن تعبير «القيام لله» وحيث قال ربُّنا سبحانه: [قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ] (سبأ/۴۶). وقال عزَّ وجلَّ: [قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ] (النساء/۱۳۵). وهكذا كانت الحالة الثورية التى عمّت آفاق البلاد الإسلامية ببركة استشهاد الإمام الحسين (ع)، بحاجة إلى هوية وصبغة، وروح، وقيم، لكى تتكرس فى ضمير الأمة، ولا تصبح كشعلة السعف أو زوبعة الفنجان لا تلبث أن تتلاشى.. ولكى تتخذ مساراً رساليّاً مستقيماً، ولا تصبح أداةً بيد كلِّ طامع أو متهوِّر كأمثال عبد الله بن الزبير وكغيره من الذين طفقوا يستفيدون منها بابشع صورة. فهذا ابن الزبير يصعد المنبر بعد مقتل الإمام الحسين (ع) فيثنى عليه ويلعن قاتله ويخلع يزيد. ولكن عندما أحس باستتباب الأمر له أظهر عداءً شديداً لآل البيت (ع)، حتى أنه ترك الصلاة على جدهم النبى (ص)، لكى لا يشمخوا بأنوفهم عند ذكره حسب قوله ! فمن أجل ألا تصبح الحالة الثورية مطية لكل من يهوى السلطة أو يبحث عن مجد مثل ابن الزبير، جاء الإمام السجاد (ع) يعطى لتلك الحالة هويَّتها الرسالية، وصبغتها الإلهية، وروعتها التى تمثلت فى قيم الوحى، وسبيلها القويم الذى رسمته شريعة الله تعالى. ولعل هذا أعظم دور قيادى قام به الإمام السجاد (ع). ولم يكن

هذا الدور نابعاً من حالة مزاجية عند الإمام (ع) أو لأنه شاهدَ مثلاً وقائع الطف الفظيعة، فاصطبغت شخصيته بها. ولم يملك إلّا البكاء والتفجّع والتبتّل والضراعة. أجل، إن تلك الحادثة كان لها أثرها البالغ فى شخصيته الكريمة، ولكن الإمام المعصوم (ع) يقوم بواجبه الإلهى، وليس بما تمليه حالته النفسية. والشاهد على ذلك أن الإمام زين العابدين (ع)، الذى اصطبغت شخصيته الكريمة بالتهجد والبكاء، حمل رسالة عاشوراء بعد شهادة والده، هو وعمّته عقيلة الهاشميين زينب (ع). وما أدراك ما رسالة عاشوراء!. إنها رسالة الجرح الثائر، والدم المنتصر، والألم المتمرد، والإنتفاضة التى لا تهدأ. أَوَما سمعت خطبته اللاهبة فى أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من فاجعة الطف كيف أثارت فيهم دفائن العطف، ونفضت عن أفئدتهم غبار الرهبة والتردد، فقالوا له: مرنا بأمرك فإنّا مطيعون لأمرك، لنأخذن يزيد ونتبرأ ممن ظلمك وظلمنا. ولكنه قال لهم: «مسألتى ألا تكونوا لنا ولا علينا». وها نحن نستمع معاً إلى فقرات من تلك الخطبة الثائرة: أومأ إلى الناس فسكتوا، فحمد الله وصلّى على النبيّ، ثم قال: «أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى أُعرِّفه بنفسى. أنا علىُّ بن الحسين بن على، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، أنا ابن من هُتك حريمه، وانتُهب ماله، وسُلب نعيمه. فبأية عين تنظرون بها رسول الله (ص) إذا قال لكم: قتلتم عترتى، وهتكتم حرمى، فلستم من أمتى» ثم بكى (ع) [۲۶] . وعندما أُدخل أسيراً على ابن زياد الطاغية الذى زعم أنه انتصر على الخط الرسالى وإلى الأبد، تحدَّاه الإمام (ع) وقال له: «سوف نَقف وتَقفون، ونُسأل وتُسألون، فأىّ جواب تردُّون، وبخصام جدِّنا إلى النار تُقادون» [۲۷] . فلما همّ ابن زياد بقتله قال له الإمام (ع): «أأنت تهددنى بالقتل؟. أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة، وكرامتُنا من الله الشهادة»؟. وكان موقفه من الطاغية يزيد، ذلك المجرم الذى لم يدع جريمة شنيعة إلّا وارتكبها فى سنى حكمه القصيرة، كان موقفه قمة فى التحدِّى ومثلاً أعلى فى الجهاد بالكلمة الرافضة. ومرة أخرى حينما نال خطيب يزيد فى الجامع الأموى من آل بيت الرسول تصدَّى له الإمام السجاد (ع) قائلاً: « ويلك يا هذ الخاطب، اشتريت مَرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوَّأ مقعدك من النار». ثم التفت إلى يزيد واستأذنه بصعود المنبر، فلم يجد يزيد بدّاً من ذلك فلما تشرف به المنبر ألقى تلك الخطبة البليغة التى لايزال صداها يدوّى فى الآفاق إلى اليوم.. وإلى أبد الآبدين. وحينما هدم طاغية العراق الحجاج بن يوسف الثقفى الكعبة تصدَّى له الإمام (ع) وقال: «يا حجاج، عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته فى الطريق وانتهبته، كأنك ترى أنّه تراث لك. إصعد المنبر وانشد الناسَ أن لايبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردَّه» [۲۸] . وهكذا كانت سجية الإمام الشجاعة، ولكن الظروف التى عاشها لم تكن تنقصها الثورة والشجاعة، لأن واقعة الطف قد شحنت ضمير الأمة بالشجاعة بِما يكفيها لقرون متمادية، وربما إلى الأبد. إنما كانت بحاجة إلى صبغة إيمانية تسمو بالثورة إلى أهدافها القيّمة، وهكذا اتَّجه الإمام (ع) إليها. فزعم السذج من الناس أن ذلك كان مزاجاً شخصيّاً . كما زعموا فى مثل ذلك فى الأنبياء. فمنهم من قال: إن تضحية إبراهيم وصبر نوح، ووحدة موسى وزهد عيسى وخُلق محمد عليهم جميعاً صلوات الله، وسائر الصفات المتميزة لكل نبيٍّ من رُسل الله (ع) إنما كانت سمات شخصياتهم، وحالاتهم المزاجية، ناسين أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وأنه لا يجعل رسالته إلّا حيث تقتضى حكمته. وأن تلك الصفات التى تجلَّت بهم كانت ضرورية للظروف التى عاشوها والبشر الذين تعاملوا معهم. حتى ولو افترضنا جدلاً أن نبيّاً وُضِعَ فى مقام نبيٍّ آخر لتبنّى سلوكه وعمل بمنهاجه، بلا اختلاف قليل أو كثير. وكالأنبياء يكون الأئمة، فلكل واحد منهم صحيفة يعمل بها، وقد كانت مرسومة ضمن السياق التاريخى الذى عاشه. وحسب تلك الصحيفة الإلهية عمل الإمام السجاد (ع). الذى كانت حياته قمة فى العبادة والضراعة، وبثَّ روح الإيمان فى المجتمع، وتربية رجال متميزين فى الزهد والتهجد، من أمثال: الزهرى، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد الله السبيعى، وآخرين.. وهكذا رسمت صحيفة السجاد (ع) منهاج إمامته فيما يبدو فى التركيز على الجانب الروحى، على أنه كان فى طليعة مهامِّ سائر الأئمة (ع)، إلّا أن الحاجة إليه كان فى عهد الإمام زين العابدين (ع) أشد، ولذلك كان التركيز عليه أعظم. ولكن السؤال: كيف اضطلع الإمام بهذه المهمة؟. وأى منهاج اتَّبعه لبلوغ هذا الهدف العظيم؟

منهاج الإمام فى التربية الروحية

ممَّا لاشك فيه أن أئمة الهدى هم مشاعل الحق للأجيال فى كل عصر ومصر، ولكن لأن الظروف مختلفة من جيل لآخر، ومن مصر لمصر ثان، ولأن الله قد ختم بالمصطفى رسالاته، وبأوصيائه خلفاءه المعصومين، فإن حكمته اقتضت أن تكون سيرة كل واحد منهم متميزة بهدى ومنهاج، ليكون مجمل سيرهم المتنوعة ذخيرة غنية يرجع الناس إليها ليأخذوا منها ما يتناسب وظروفهم الخاصة.. وكانت سيرة الإمام على بن الحسين (ع) الإيمانية هى المنهاج المتناسب كليّاً وظروف مشابهة لظروفنا فى بعض البلاد حيث حبانا الله سبحانه بحالة ثورية تحتاج إلى المزيد من الروح الإيمانية حتى لاتخرج الحركة عن مسارها الدينى، ولا تفسد السياسة ومصالحها وحتمياتها النقاء الإيمانى الذى يحتاجه العاملون فى سبيل الله. فماذا كانت سيرته، وماهو برنامجه؟ أولاً: كان عباد الله المخلصون دعاة إلى الله بسلوكهم قبل أن يكونوا دعاة بألسنتهم، فما أمروا الناس بشىء إلّا وسبقوهم إليه. وكانت حياة الإمام السجاد (ع) لوحة إيمانية نقية، وقد تحدثنا عنها فى فصل آخر. وقال عنه جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى الشهير: ما رأيت فى أولاد الأنبياء شخصاً كعلى بن الحسين (ع). ثانياً: تربية جيل من العلماء الربانيين الذين ربوا بدورهم علماء وثائرين وعبّاداً صالحين. وهكذا تماوجت تعاليم الإمام عبر النفوس الزكية فى حلقات مترامية كالصخرة العظيمة تُلقى فى بحر واسع.. وكان فى هؤلاء الرجال العرب والموالى،ولكلٍّ قصة وتاريخ. فَدَعْنا نتزود من عبق سيرة حوارى الإمام (ع) الذين كان أكثرهم من التابعين: ألف: كان سعيد بن جبير من أولئك التابعين الذين اقتبس من الإمام زين العابدين (ع) روح الإيمان.. كان مثلاً ـ فى العبادة والإجتهاد كان يسمى بـ (بصير العلماء) ويقرأ القرآن فى ركعتين، وبلغ من علمه أنه اشتهر بين العلماء أنه ما على الأرض أحد إلّا وهو محتاج إلى علمه [۲۹] . واستشهد سعيد على يد طاغية العراق الحجاج. ويقول الإمام الصادق (ع): «إن سعيد بن جبير كان يأتم بعلى بن الحسين، فكان على يثنى عليه. وما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على هذا الأمر، وكان مستقيماً» [۳۰] . ومن خلال حوار ساخن جرى بينه وبين جزار بنى أمية الزنيم نعرف مدى استقامة هذا العالم الربانى. ذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال له: أنت شقى بن كسير. قال: أُمى كانت أعرف بى، سمتنى سعيد بن جبير. وقيل إنه سأله كيف يفضل أن يقتله؟ قال: اختر لنفسك، قال وكيف ذلك؟. قال: لأنه لاتقتلنى بقتلة إلّا وأقتلك بها يوم القيامة. باء: وكان عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى الذى يكنى بـ (أبى إسحاق) من ثقاة الإمام السجاد (ع) وبلغ من عبادته أن قيل عنه لم يكن فى زمانه أعبد منه، حيث كان يختم القرآن فى كل ليلة. وقد صلى اربعين سنة صلاة الفجر بوضوء صلاة العتمة، وكان محدثاً لا أوثق منه فى الرواية عند الخاص والعام [۳۱] . جيم: وكان الزهرى عاملاً ـ فى بلاط الأمويين، فعاقب رجلاً فمات فى العقوبة، فارتاع لذلك فخرج على وجهه هائماً، واعتكف فى غار تسع سنين، فرآه الإمام السجاد (ع) وهو فى طريقه إلى الحج، فقال له: «إنى أخاف عليك من قنوطك مالا ـ أخاف عليك من ذنبك. فابعث بِدِيَةٍ مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك». فقال له: فرّجتَ عنى يا سيدى، الله أعلم حيث يجعل رسالته. ورجع إلى بيته، ولزم على بن الحسين (ع). وكان يعد من أصحابه. ولذلك قال له بعض بنى مروان: يا زهرى . ما فعل نبيك، يعنى على بن الحسين [۳۲] . ومن هذه الرواية نعرف كيف كان الله يهدى الناس بالإمام حتى يصبح عامل بنى أمية من كبار العلماء المعروفين عند كل الفرق الإسلامية كالزهرى. دال: وكان سعيد بن المسيب بن حزن من كبار التابعين الذين ربَّاهم أمير المؤمنين (ع)، والتزم خط آل البيت (ع) حتى كان من صفوة أصحاب الإمام السجّاد (ع). وعنه قال: «سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدم من الآثار» [۳۳] . وقد قال رجل لسعيد يوماً: ما رأيت رجلاً أورع من فلان (وذكر اسم رجل من الناس) فقال له سعيد: فهل رأيت على بن الحسين؟. قال: لا، قال سعيد: ما رأيتُ رجلاً أورع منه [۳۴] . ومثل هؤلاء طائفة كبيرة من كبار علماء الإسلام الذين أخذوا عن الإمام الزهد والتقوى، والتفسير والحكمة والفقه، حتى قال الشيخ المفيد: إنه روى عنه الفقهاء من العلوم مالا ـ يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازى والأيام ماهو مشهور بين العلماء.. وقال ابن شهر اشوب: قلَّما يوجد كتاب زهد وموعظة لم يذكر فيه: قال على بن الحسين، أو قال زين العابدين (ع) [۳۵] . وكان شديد الإحترام لطلبة العلوم الذين كانوا يتوافدون عليه فى المدينة من أقطار العالم الإسلامى، ويرى أنهم وصية رسول الله (ص).. وكان العلماء يستلهمون من سلوكه الهدى والورع قبل أن يتلقوا من منطقه العلم والمعرفة، ومن لايستلهم نور الله من تلك

الطلعة الربانية، من العين التى تفيض من خشية الله، والجبهة التى عليها ثفنات من أثر السجود، من ذلك اللسان الذى لاينى يذكر الله عزَّ وجلَّ.. وبالتالى من تلك السيرة التى يشع منها نور الله تبارك وتعالى. يذكر عبد الله بن الحسن فيقول: كانت أمى فاطمة بنت الحسين تأمرنى أن أجلس إلى خالى على بن الحسين (ع). فما جلست إليه قط إلّا قمت بخير قد أفدته، إما خشية لله تَحدث فى قلبى لما أرى من خشيته لله، أو علم قد استفدته منه [۳۶] . وكانت الفتوحات الإسلامية تطوى كل يوم بلداً جديداً، وتضم إلى الجسد الإسلامى عضواً جدياً، ولكنها كانت بحاجة إلى زخم إيمانى يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح فى بوتقة الأُمة الواحدة. وقد تصدى الإمام زين العابدين (ع) وأصحابه وأنصاره لهذه المسؤولية وبسبل شتى. فقد كان شديد الإحترام للموالى، وهم المنتمون إلى سائر الشعوب التى دخلت فى الإسلام، بعد فتح البلاد لها، ولمّا تبلغ من المعارف الإلهية نصيباً كافياً. وكان كثير من الموالى من خيرة أصحاب الإمام (ع). كما كان الإمام يتبع منهجاً فريداً فى زرع القيم الإلهية فى أفئدة ثلة مختارة منهم.. حيث كان يشترى العبيد ويتعامل معهم بأفضل طريقة ثم يُعتقهم ويزوِّدهم بما يوفر لهم الحياة الكريمة، فيكون كل واحد منهم ركيزة إعلامية بين بنى قومه.. ولنقرأ معاً أخلاق الإمام فى تعامله مع مواليه قبل أن نعرف كيف كان يعتقهم، فإن تلك الأخلاق الحسنة كانت مدرسة عملية لهم إلى جانب التوجيه المباشر. روى عن عبد الرزاق (أحد الرواة) أنه قال: جعَلت جارية لعلى بن الحسين (ع) تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه. فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية: إنّ الله يقول: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ] (آل عمران/۱۳۴) قال: كظمت غيظى، قالت: [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] (آل عمران/۱۳۴) قال لها: عفا الله عنك، قالت: [وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]، (آل عمران/۱۳۴) قال: اذهبى فأنت حرّة لوجه الله عزَّ وجلَّ [۳۷] . هكذا كان يتعامل مع الرقيق الذين اعتبرهم بعض الناس ذلك اليوم ان لهم طبيعة غير طبيعة الإنسان، فكيف لا ـ يؤثر فيهم ذلك الخلق الرفيع؟. ويروى بعضهم القصة التالية التى تعكس مستوىً رفيعاً من الصفح والسماحة والإيثار، تقول الرواية: كان عنده (ع) قوم أضياف، فاستعجل خادماً له بشواءٍ كان فى التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بُنَيٍّ لعلى بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علىٌّ للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: «أنتَ حرٌّ، فإنك لم تعتمده»، وأخذ فى جهاز ابنه ودفنه [۳۸] . وكان له مولى يتولّى عمارة ضيعة له، فجاء فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً. فغاظه ما رأى من ذلك وغمّه، فقرع المولى بسوطٍ كان فى يده وندمَ على ذلك، فلما انصرف إلى منزله أرسل فى طلب المولى فجاء فوجده عارياً والسوط بين يديه، فظنّ أنّه يريد عقوبته، فاشتد خوفه، فقال له على بن الحسين: «قد كان منى إليك مالم يتقدَّم منى مثلُه، وكانت هفوة وزلَّة، خذ ذلك السوط واقتصَّ منى». فقال: يا مولاى والله إن ظننت إلّا أنّك تريد عقوبتى، وأنا مستحق للعقوبة. فكيف اقتصُّ منك؟! قال: «ويحك اقتصّ»؟ قال: معاذ الله أنتَ فى حلٍّ وسعة، فكرَّر عليه ذلك مراراً والمولى يتعاظم قوله ويجلله، فلما لم يره يقتص قال له: «أمّا إذا أبيتَ فالضيعة صدقة عليك» [۳۹] . هذه نماذج من الخلق الكريم الذى اتّسَم به سلوك الإمام (ع) مع الموالى. وقد كان أسلوب عتق الإمام لهم متميزاً يرويه التاريخ بجلال وإعجاب. فقد روى ابن طاووس فى كتاب شهر رمضان المعروف بالإقبال، بسنده عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: كان على بن الحسين (ع) إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له، ولا أَمَة. وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه. فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤذك أتذكر ذلك؟ فيقول بلى يابن رسول الله. حتى يأتى على أخرهم ويقررهم جميعاً ثم يقوم وسطهم ويقول: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا على بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلَّ ما عملت كما أحصيت علينا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها وتجد كلَّ ما عملت لديه حاضراً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، وهو ينادى بذلك على نفسه ويلقنهم وينادون معه وهو واقف بينهم يبكى ويقول: «ربَّنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنَّا فإنك أولى بذلك منَّا ومن المأمورين. إلهى كرمت فأكرمنى إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطنى بأهل نوالك يا كريم». ثم يقبل عليهم فيقول قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عنى ما كان منى إليكم من سوء ملكة فإنى مليك سوء لئيم ظالم مملوك

لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل؟. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت. فيقول لهم قولوا: اللهم اعف عن على بن الحسين كما عفا عنَّا وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين ربَّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عنى وعتق رقبتى. فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما فى أيدى الناس. وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها فى آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً إلى أقل أو أكثر. وكان يقول: إن لله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف عتيق من النار، كُلًّا قد استوجب النار. فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثلما أعتق فى جميعه. وإنى لأحب أن يرانى الله وقد أعتقت رقاباً فى ملكى فى دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتى من النار. وما استخدم خادماً فوق حول. وكان إذا ملك عبداً فى أول السنة أو فى وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم فى الحول الثانى ثم أعتقوا كذلك. ولقد كان يشترى السودان وما به إليهم من حاجة، يأتى بهم عرفات فيسد بهم تلك الْفُرج فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال.

دور الإمام فى الاعلام الرسالى

اشاره

الإعلام الرسالى هو الجهر بالقيم التى يدعو إليها الوحى. ولعل الكلمة المرادفة له فى المنطق الإسلامى «الأذان». وإذا كانت الدعوة إلى الله هى الركيزة الأولى لرسالات الله، فإن الإعلام جانب أساسى منها. ولقد كانت واقعة الطف الرهيبة الفجيعة واحدةً من أعظم الإثارات الإعلامية. أولم يقل السبط الشهيد أنا قتيل العبرة؟. أولم يتواتر عن أئمة أهل البيت (ع) فضلُ البكاء على الحسين (ع) وزيارة قبره، والدعاء تحت قبته؟. وهذا الدور الإعلامى الذى كان الهدف من استشهاد الإمام الحسين (ع) اضطلع به الإمام زين العابدين (ع)، ومعه البقية العائدة من كربلاء، وبالذات عقيلة الهاشميين زينب الكبرى (ع). وبقى الإمام (ع) خمساً وثلاثين سنة قائماً بهذا الدور حتى رسَّخ فى ضمير الأمة قواعدَ الإعلام الحسينى المبارك على النحو التالى: ألف: كان أول وأعظم هدف لوسائل الإعلام الحسينى، إظهار الجانب المأساوى لواقعة الطف، لتبقى راسخة فى ضمير الأجيال المتصاعدة، ولتكون شعلة متقدة فى أفئدة المؤمنين، تستثير فيهم حوافز الخير والفضيلة، وتدعوهم إلى الإجتهاد والإيثار، وليقولوا على مدى العصور: يا ليتنا كنَّا معك فنفوز فوزاً عظيماً، وليكونوا أبداً جنود الحق المتفانين فى سبيل الله لكى لا- تتكرر فاجعة الطف مرة أخرى؛ أو ليكونوا. إذا وقعت مشاركين فيها بسهم واق، ومدافعين عن الحق بكل قواهم. ومن هنا نجد الإمام زين العابدين (ع) واحداً من البكَّائين الخمسة فى عداد آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. لقد بقى باكياً بعد واقعة الطف ثلاثاً وثلاثين عاماً، ما وُضع أمامه طعام إلّا وخنقته العبرة وقال: لقد قتل ابن بنت رسول الله جائعاً، فإذا جىء إليه بشراب انهالت دموعه فيه وقال: لقد قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً. وإذا مرّ على جزّار استوقفه وسأله: هل سقى الشاة ماءً، ثم طفق يبكى ويقول: لقد قتلوا سبط رسول الله ظامئاً على شط الفرات. وقد ضج لبكائه مواليه وأهل بيته. قال له أحد مواليه مرة: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنى أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو حزنى إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون. إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلّا خنقتنى العبرة [۴۰] . باء: ولم يكن البُكاء الرسالة الوحيدة التى حملها الإمام زين العابدين (ع) إلى التاريخ، فقد كانت رسالة الكلمة الثائرة هى المشكاة الصافية التى تشع من خلالها رسالة الكلمة. فمنذ الأيام الأولى لملحمة كربلاء عملت كلماتُ آل البيت (ع) وفى طليعتهم الإمام السجاد والصديقة زينب الكبرى (ع) فى هدم جدار الصمت والتردد والخوف، فى الكوفة، وفى الشام، ثم فى المدينة المنورة. وحينما فرّق عامل يزيد «الأشدق» أهل البيت فى البلاد الإسلامية خشية انتفاضة أهل المدينة حسب بعض الروايات التاريخية، رُفِعَ لظُلامة الحسين (ع) فى كل حاضرة منبر وجهاز إعلامى مقتدر. ومن أشهر خطب الإمام (ع) تلك الرائعة التى أوردها فى مسجد الشام، والتى تحتوى على منهاج المنبر

الحسينى الذى لو اتَّبعناه، لكان أبلغ أثراً وأنفذ فى أفئدة الناس. وها نحن نتدبر فى مفردات هذا المنهج قبل أن نستوحى معاً نص الخطاب: ألف: حدد الإمام أهداف المنبر إذ قال للخاطب الذى سبقه إلى المنبر: اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوَّأ مقعدك من النار.. وتوجه إلى يزيد وقال له: أتأذن أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله رضاً ولهؤلاء الجلساء نفع وثواب. إذاً لابد أن تكون توجيهات الخطيب خالصة لوجه الله، وأن يبحث عما يرضى الله، حتى ولو أسخط الطغاة، وأن ينطق بما ينفع الناس لا بما يضرهم. باء: ثم بدأ الحديث بذكر الله سبحانه، وحذَّر الناس عقابه، وذكَّرهم بالموت والفناء، ولا أبلغ من الموت موعظة ولا من الفناء رادعاً. وجاء فى بعض الروايات أن الناس قد أجهشوا بالبكاء عندما أكمل الإمام (ع) حديثه عن الآخرة، مما جعل قلوبهم خاشعة تستقبل ما بيَّنه بعدئذ من البصائر السياسية. جيم: وبيَّن الإمام (ع) خطه السياسى الأبلج الذى ينتهى إلى سيد المرسلين محمد وأهل بيته المعصومين (صلَّى الله عليه وعليهم اجمعين)، وأسهب فى بيان صفاتهم التى هى المثل الأعلى فى اليقين والإستقامة والجهاد. دال: وأشهر الإمام (ع) ظُلامة السبط الشهيد، وحملها راية حمراء تدعو الضمائر الحرة إلى الجهاد من أجل الله وفى سبيل نصرة المظلومين.. وهذه هى أشد محاور المنبر الحسينى: إثارةً للعواطف وتهييجا لكوامن الحزن والأسى. هاء: وبعد أن أمر يزيد بأن يقطع عليه المؤذن حديثه لم يترك الإمام (ع) المنبر كما كان معهوداً، وإنما استوقفه عند الشهادة الثانية وحمّل يزيد مسؤولية قتل والده، مما يعنى - فى لغة العصر - وضع النقاط على الحروف. فلا يكفى للخطيب الحسينى أن يشير من بعيد إلى الحقائق السياسية، بل لابد أن يصرّح بها بوضوح حتى يتبصر الناس وتتم الحجة عليهم. وهكذا استطاع الإمام السجاد (ع) عبر هذا المنهاج الرائع أن يزلزل عرش يزيد زلزالاً حتى تنصَّل من جريمته النكراء، وتوجه إلى الجماهير الغاضبة التى كادت تبتلعه قائلاً: أيها الناس، أتظنون أنى قتلت الحسين، فلعن الله مَن قتله عبيد الله بن زياد عاملى بالبصرة [۴۱] . اما خطاب الإمام (ع) الذى ينبغى أن يُتخذ مثلاً للخطَب الحسينية، فهو التالى: «أيها الناس أحذركم الدنيا وما فيها، فإنها دار زوال، قد أفنت القرون الماضية، وهم كانوا أكثر منكم مالاً، وأطول أعماراً. وقد أكل التراب جسومهم، وغيَّر أحوالهم. أفتطمعون بعدهم، هيهات هيهات، فلابد من اللحوق والملتقى. فتدبَّروا ما مضى من عمركم وما بقى، فافعلوا فيه ما سوف يلتقى عليكم بالأعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل وفروغ الأمل، فعن قريب تؤخذون من القصور إلى القبور، وبأفعالكم تحاسبون. فكم - والله - من فاجرٍ قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز قد وقع فى مهالك الهلكات، حيث لا ينفع الندم، ولا يُفات من ظَلم.. ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً [۴۲] . قالوا: فضج الناس بالبكاء لبالغ أثر مواعظه فى أنفسهم ثم قال: «أيها الناس، أُعطينا ستّاً وفُضِّلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة فى قلوب المؤمنين. وفُضِّلنا بأن منَّا النبىَّ المختار محمداً، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأمة. مَن عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أنبأته بحسبى ونسبى. أيها الناس! أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مَن حَمل الرُّكن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبَّى، أنا ابن من حُمل على الْبُراق فى الهواء، أنا ابن من أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن على المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله. أنا ابن مَن ضرب بين يدى رسول الله بسيفَين، وطعن برمحَين، وهاجر الهجرتَين، وبايع البيعَتين وقاتل ببدر وحنَين، ولم يكفر بالله طرفة عَين. أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وافضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين. أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، المجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامى الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولى أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه. سمحٌ، سخىٌّ، بهىٌّ، بهلولٌ، زكىٌّ، أبطحىٌّ، رضىٌّ، مقدامٌ، همامٌ، صابرٌ، صوام، مهذبٌ، قوامٌ، قاطعُ

الأصلاب، ومفرقُ الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جَناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم فى الحروب إذا ازدلفت الأسنَّة وقربت الأعنَّة طحن الرحا، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكىٌّ مدنىٌّ خيفىٌّ عقبىٌّ بدرىٌّ أحدىٌّ شجرىٌّ مهاجرىٌّ. من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعَرين وأبو السبطَين: الحسن والحسين، ذاك جدى على بن أبى طالب. ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء... فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد (لعنه الله) أن يكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام. فلما قال المؤذن: الله أكبر قال على: لا شىء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال على بن الحسين: شهد بها شعرى وبشرى ولحمى ودمى، فلما قال المؤذن: اشهد أن محمداً رسول الله، التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدِّى أم جدُّك يا يزيد؟. فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدى فَلِمَ قتلتَ عِترَته؟ قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة وتقدم يزيد فصلَّى صلاة الظهر» [۴۳] .

الدعاء مدرسة و منبر

لقد بعث الله تعالى إلينا رسالته، ترى كيف نستجيب له. ونرد إلى ربِّنا الرحمن التحية؟. نردُّها بالدعاء. فإنه منهج حديث العبد مع ربِّه عزَّ وجلَّ، كما أن الوحى ذروة حديث الرب مع عباده. والدعاء مخ العبادة، ولباب التواصل، وجوهر الصلاة. وكل دعاء حميد إلّا أن الله تعالى أنعم علينا بأن هدانا لتعلم أدعية أوليائه، وبما أورثنا من أدعية النبىِّ وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام. ويبدو أنها جميعاً أدعية تَوارثها عباد الله من الأنبياء، ومن ثم من الوحى الإلهى؛ أولا أقل هى تجليّات الوحى على أفئدة الهداة من عباد الله المقرَّبين، وانعكاسٌ لمعارف الوحى على قلوبهم الزكية وألسنتهم الصادقة. فالأدعية المأثورة - إذاً - هى الوجه الآخر للوحى، وهى ظلاله الوارفة، وأشعته المنيرة، وتفسيراته وتأويلاته. وهكذا كانت الأدعية كنوز المعارف الربانية، وتلاد الحكم التى لاتنفذ، وفى طليعتها أدعية الصحيفة السجادية التى جمعت من كلمات الإمام زين العابدين (ع). فإلى ماذا كان يهدف الإمام من تلك الأدعية؟. لا ريب أنها كانت شعاعاً من قلبه المنير بالإيمان، وفيضاً من فؤاده المتقد بحب الله، وكانت كلماتُها تتزاحم على شفاه رجل كاد يذوب فى هيام ربِّهِ، ولم تكن تَكَلُّفاً منه. بلى، قد حققت أهدافاً عديدة أبرزها تعليم عباد الله كيف يدعون ربَّهم العظيم، وكيف يتضرعون إليه، ويتحببون إليه، ويلتمسون رضاه. ويتوافون على أسمائه الحسنى.. وكيف يطلبون منه حوائجهم، وماذا يطلبون؟. وهذا الهدف الربانى تفرّع بدوره إلى عدة أمور حياتية يذكرها المؤرخون عادةً عند بيان حكمة الصحيفة السجادية، ونحن نشير إليها باختصار شديد. أ: أن الضغوط كانت بالغة الشدة فى عهد الإمام السجَّاد (ع) إلى درجة أن عقيلة الهاشميين زينب الكبرى (ع) أصبحت لفترة، وسيطة فى شؤون الإمامة بين الإمام والمؤمنين. وفى مثل تلك الظروف العصيبة كان من الطبيعى أن يبث الإمام بصائر الوحى وقيم الرسالة عبر الأدعية التى مشت فى الأمة ولا تزال كما يمشى الشذى عند نسيم عليل!! ب - والإمام كثائر ربانى لم يدع معارضة الطواغيت والوقوف بوجه الفساد الذى أوجدوه بسبب الظروف الصعبة، بل عارضهم بالأدعية التى لم تستطع أجهزة النظام برغم قوتها صد الإمام عنها. وهكذا أتم الله سبحانه الحجة علينا، كى لاندع الوقوف بوجه الطغاة بأية وسيلةٍ ممكنة، حتى فى أشد العصور إرهاباً وقمعاً. ج: وكانت الأدعية - إلى ذلك - وسيلة تربية الناس على التقوى والفضيلة والإيثار والجهاد وذلك بما تضمنت من مفاهيم متسامية، ومواعظ ربانية، فكان النخبة من أبناء الأمة يتغذون عليها كما يتغذى النبات الزاكى من أشعة الشمس. فإن حركات المعارضة تحتاج إلى زخم ثورى يدفع أبناءها قُدُماً فى طريق المعارضة كالنشرات السرية والجلسات الخاصة، والشعارات والبيانات، فإن تلك الصحف المطهرة كانت غذاءً رساليّاً لتلك النخبة المؤمنة فى مواجهة النظام الأموى. ولا تزال أدعية الإمام (ع) التى جمعت فى الصحيفة السجادية، لاتزال هذه الأدعية ذلك الزخم الإيمانى الذى يوفر لنا الروح الإيمانية فى الأيام العصيبة. ولا أظن - بعد القرآن - أنَّ كتاباً يكون تسلية لفؤاد المحرومين، وثورة فى دماء المستضعفين، ونوراً فى افئدة المجاهدين وهدى على طريق الثائرين كالصحيفة السجادية، فسلام الله على تلك النفس الزكية التى فاضت بها، وسلام الله على من تبتل بها مع كل صباح ومساء.

الشعر منبر سيار

تناغم الحياة ينعكس فى ضمير الإنسان بحبك أوزان الشعر ومعانيه البديعة. وكانت العرب فى الجاهلية وفى العصور الإسلامية الأولى، بالغة الإهتمام بالشعر. وقد مدح ربُّنا سبحانه فى سورة الشعراء أولئك المؤمنين منهم الذين ينتصرون للمظلوم. وقد اهتم أئمة الهدى (ع) بالشعر كمنبر سيار يمشى بين الناس بانسياب. كما أن الطغاة بدورهم استخدموا الشعراء مطية لإعلامهم المضلَّل. وقد قيل إن الإمام زين العابدين (ع) نظم الشعر. واشهر ما ينقل عنه تلك الرائعة التى يقول فيها: نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها فى الأنام كاظمنا عظيمة فى الأنام محنتنا أولنا مبتلى و آخرنا يفرح هذا الورى بعيدهمُ و نحن أعيادنا مآتمنا والناس فى الأمن والسرور، وما يأمن طول الزمان خائفنا وما خصصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا يُحْكَم فينا، و الحكم فيه لنا جاحدُنا حقَّنا و غاصبنا [۴۴] . ونسب إليه ابن شهر اشوب فى المناقب قوله: لكم ما تدَّعون بغير حَقٍّ إذا مِيز الصحاحُ من الْمِراضِ عرفتمْ حقَّنا فجحدتمونا كما عرف السواد من البياضِ كتابُ الله شاهدُنا عليكم وقاضينا الإله، فنعم قاض [۴۵] . أما تأييده للشعراء المدافعين عن الحق، فنعرفه من خلال قصة مع الفرزدق الذى كان محسوباً على بلاط الأمويين، إلّا أنه كان ينتمى تاريخيّاً إلى البيت العلوى. فلما وجد فرصة فاضت قريحته بالرائعة المعروفة. فلما غضب عليه هشام بن عبد الملك والسلطة الأموية واعتقل، بادر الإمام بجائزته. وبقى إلى آخر حياته يعيش فى ظل الإمامة الإسلامية حسبما يذكر بعض المؤرخين. أما رائعته وقصتها. فهى التالية: رواها السبكى فى طبقات الشافعية بسند متصل إلى ابن عائشة عبد الله بن محمد عن أبيه، قال: حج هشام بن عبد الملك فطاف بالبيت فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه فلم يقدر عليه، فنُصب له منبرٌ وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام، إذ أقبل على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر تنحَّى له الناس حتى يستلمه، فقال رجل من أهل الشام مَن هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟. فقال: هشام لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق: ولكنى أعرفه. قال الشامى: من هو يا أبا فراس؟. فقال الفرزدق (وقد توافقت روايتا سبط ابن الجوزى والسبكى إلّا فى أبيات يسيرة، وهذا ما ذكراه): هذا الذى تَعرف البطحاءُ وطأتَهُ و البيت يعرفه و الْحِلُّ و الحَرمُ هذا ابنُ خير عبادِ الله كُلِّهِمُ هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلَمُ يكادُ يَمْسِكُه عِرفانُ راحَتِهِ ركنُ الحطيم إذا ما جاءَ يَستلمُ إذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائِلُها إلى مَكارمِ هذا يَنتهى الكرَمُ إنْ عُدَّ أهلَ التُّقى كانوا ذوى عددٍ أو قيل مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ هُمُ هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ بِجَدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا وليسَ قولُك مَنْ هذا بِضائرِهِ أَلْعُرْبُ تَعرف مَن أنكرتَ والعجَمُ يُغضى حَياءً ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَمَا يُكلَّمُ إلّا حينَ يَبتسمُ يُنْمَى إلى ذروةِ العزِّ التى قَصُرَتْ عنها الأكفُّ وعن إدراكِها القدَمُ من جدَّه دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأممُ ينشقُّ نورُ الهدى عن صَبْحِ غُرَّتِهِ كالشمس تَنْجابُ عن إشرافِها الظُّلَمُ مشتَقَّةٌ من رسولِ الله نبعتُه طابتْ عناصرُه والْخيمُ والشِّيَمُ الله شرَّفَهُ قِدْماً وفضَّله جرى بذاك له فى لوحِهِ القَلَمُ كِلتا يَديهِ غياثُ عمَّ نفعُهما يَستوكَفانِ ولا يَعروهما العدَمُ سهلُ الخليقةِ لا تُخشى بوادرهُ يَزينه اثنانِ حُسْنُ الْخُلقِ والكرَمُ حمَّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحوا رحبُ الفِناء، أريبٌ حين يَعتزمُ ما قال: لا، قطُّ إلّا فى تشهّدهِ لولا التشهدُ كانتْ لاؤه نَعَمُ عَمَّ البريةَ بالإحسان فانقشعتْ عنه الغَيابةُ لا هلقٌ ولا كَهَمُ مِنْ مَعشرٍ حبُّهمْ دين، وبُغضُهُمُ كفرٌ، وقربهمُ ملجاً ومُعْتَصَمُ لا يَستطيع جوادٌ بَعْدَ غايتِهم ولا يُدانيهمُ قومٌ وإن كَرُمُوا همُ الْغُيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ والأسْدُ أُسدُ الشرى والرأى مُحْتَدِمُ لا يُنقص العسرُ بَسْطاً من أَكُفِّهِم سِيّانِ ذلك إن أَثْرَوْا وإنْ عُدِمُوا يَستدفع السوءُ والبلوى بحُبِّهِمْ ويُستربُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ مَقَدَّمٌ بعدَ ذِكرِ الله ذِكْرُهُمُ فى كلِّ بَدْءٍ، ومَختومٌ بِهِ الْكَلِمُ يَأبَى لهمْ أن يَحُلَّ الذمُّ ساحتَهم خيمٌ كريمٌ، وأيدٍ بالنَّدى هُضُمُ أىُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابهمْ لأَوَّلِيَّةِ هَذا أولُهُ نَعَمُ مَن يَعْرِفِ الله يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذا أَلدِّيْنَ مِنْ بَيْتِ هَذا نَالَهُ الأُمَمُ هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فبعث إليه على بألف دينار فردها وقال: إنما قلت ما قلت غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً. فقال على: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما أعطينا، فقبلها الفرزدق وهجا هشاماً فقال: أيحسبنى بين المدينة والتى إليها قلوبُ الناس يَهوى مُنِيبُها يُقلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّدٍ وعَيناً له حولاءَ

بادٍ عُيوبُها فأخبر هشامُ بذلك فأطلقه. ولكنه قطع راتبه من الديوان، وكان ألف دينار سنويّاً، فاشتكى إلى الإمام فأعطاه أربعين ألف دينار وقال له: لو كنت تحتاج إلى أكثر لأعطيتك. فعاش الفرزدق أربعين عاماً ثم مات رحمه الله تعالى.

رسالة الحقوق

يبحث بعض الناس عن الدرجات العلى فى الإيمان ويتساءلون: كيف نجتهد حتى نصبح مؤمنين حق الإيمان؟. لمثل هؤلاء كتب الإمام زين العابدين (ع) رسالة الحقوق التى تشرح واجبات المؤمن ومسؤولياته تجاه الخالق والناس، وتحدِّد - بالتالى - طبيعة العلاقة القائمة على أسسٍ متوازنةٍ وعادلةٍ، وقد استهلّت الرسالة بما يلى: «إعلم - رحمك الله - أن لله عليك حقوقاً محيطةً بك فى كل حركة تحرَّكتها، أو سكَنة سكَنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلَّبتها، أو آلة تصرفت بها؛ بعضُ ها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك نفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال. ثم جعل لأفعالك عليك حقوقا: لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصَدَقتك عليك حقّاً، ولهدْيِك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً. ثم تُخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبة عليك، وأوجَبُها عليك حقُّ أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رَحِمك» [۴۶] . ويستمر الإمام (ع) فى بيان هذه الحقوق وفروعها، ويبيَّن من خلالها العلاقة المثلى بين الانسان وبين الخلق والخالق. وسوف نستوحى من دراسة رسالة الحقوق البصائر التالية: أولاً: أن حديث الإمام (ع) كان موجهاً للصفوة من أهل الإيمان، الذين نشروا الكمال وسعوا إليه سعيه، لذلك تجد الحقوق المذكورة فى هذه الرسالة تجمع بين الحقوق الواجبة والأخرى المندوبة. بل إن أكثرها من النوع الثانى. ثانياً: إن هذه الرسالة وأمثالها مما نجده عند أئمة أهل البيت (ع) فى صيغة رسائل أو وصايا مفصَّلة، والتى جمعها العالم الكبير الحسن بن على بن شعبة الحلبى فى كتابه الفذ (تحف العقول) كانت بمثابة دروس مركَّزة فى التربية الرسالية توارثها الصالحون من أولياء أهل البيت (عليهم السلام) بهدف بناء القدوات المثلى والطليعة المتميزة من أبنائهم ليكونوا شهداء على الناس. وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى العودة إليها فى مناهج التربية، وبالذات فى الحوزات العلمية التى هى الامتداد الرسالى لخط أهل البيت النبوى (ع). ثالثاً: إن هذه الرسالة تحافظ على توازن الشخصية الإيمانية وتصونها من التطرف نحو جانب من الشريعة وإهمال سائر الجوانب؛ فلابد أن تتسع صدورنا لكافة أبعاد الشريعة، وضمن برامج محددة نجدها فى مثل رسالة الحقوق. وكلمة أخيرة: إن هذه الرسالة تعكس البصيرة القرآنية ذات الشمول والعمق والدقة التى تتناسب ومقام الإمامة لسيد الساجدين (ع)، والتى يعجز عن مثلها أى فقيه أو عالم إن لم يكن متصلاً برافد الرسالة الذى لا ـ ينضب. فسلام الله على من أرسلها، وبارك الله لمن استجاب لها.

كراماته و شهادته

استفاضت كتب الأثر بالحديث القدسى الذى ينطق عن ربِّ العزة بالقول: «عبدى أطعنى تكن مثْلى (أو مَثلى) أقول للشىء كن فيكون وتقول للشىء كن فيكون». وكتاب الله العزيز حافل بأمثلة واقعية من تاريخ الأنبياء والصالحين الذين استجاب الله دعاءهم بما أعجز الناس. أليس طوفان نوح وسفينته، ونيران إبراهيم التى جعلها الله تعالى برداً وسلاماً، وعصا موسى التى ألقاها فجعلها الله ثعباناً مبيناً، وحديث عيسى فى المهد صبيّاً، واستجابة دعاء إبراهيم ثم زكريا حينما رزقهما الله أولاداً وقد بلغا من الكبر عتيّاً. أليس كل ذلك من كرامة الله لأوليائه المخلصين؟. فلماذا يصعب على البعض تصديق كرامات أولياء الله الآخرين، كما يصدقون بكرامات أولياء الله السابقين؟. أوليس الحديث النبوى الشريف يقول: «علماء أُمّتى كأنبياء بنى إسرائيل»؟. فكيف تصدق المعجزة على عهد بنى إسرائيل بنص القرآن، ولا ـ تأتى الكرامة على يد أهل بيت الرسول؟. وهذا على بن الحسين (ع)، الذى قرأنا معاً بعض صفاته، أَيعزُّ على الله

سبحانه أن يجرى على يدَيه الكرامات؟ ومَن أولى بها ممن كان على مثل تلك الصفات، قوَّامَ الليل، صوَّام النهار، بكّاءً، سجّاداً، إلخ... ونحن إذ نقتطف من تاريخه (ع) نزراً يسيراً من كراماته، فلكى نزداد يقيناً بأن ربَّنا سبحانه يستجيب دعوة المخلصين من عباده الذين جأروا إليه بكل كيانهم وأبعاد وجودهم.. ثم نزداد للأئمة من أهل البيت (ع) حبّاً، فإن حُبَّهم نجاةٌ من النار ووسيلةٌ إلى الله عزَّ وجلَّ.

۱- من كراماته (ع)، أن الله ألهمه من علمه عبر رؤيا شاهد فيها رسول الله (ص)، ما أظهر كرامته وفضله. والقصة كما يلى: روى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «لمّا وُلِّىَ عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف. أما بعد: فانظر دماء بنى عبد المطلب فاحقنها واجتنبها، فإنى رأيت آل ابى سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا إلّا قليلاً، والسلام. قال: وبعث بالكتاب سرّاً. وورد الخبر على على بن الحسين (ع) ساعة كتب الكتاب وبعث به إلى الحجاج، فقيل له: إنّ عبد الملك قد كتب إلى الحجاج كذا وكذا، وإن الله قد شكر له ذلك، وثبّت ملكه وزاده برهة. قال: فكتب على بن الحسين (ع): بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من على بن الحسين بن على. أما بعد: فإنك كتبت يوم كذا وكذا، من ساعة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بكذا وكذا. وإن رسول الله (ص) أنبأنى وخبَّرنى. وإن الله قد شكر لك ذلك وثبّت ملكك وزادك فيه برهة. وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على بعيره، وأمره أن يوصله إلى عبد الملك ساعة يقدم عليه. فلما قدم الغلام أوصل الكتاب إلى عبد الملك، فلما نظر فى تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التى كتب فيها إلى الحجاج، فلم يشك فى صدق على بن الحسين (ع) وفرح فرحاً شديداً، وبعث إلى على بن الحسين (ع) بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سرَّه من الكتاب» [۴۷] . ۲- وكذلك قصته مع أبى خالد الكابلى، ويرويها الإمام الباقر (ع) كالتالى: «كان أبو خالد الكابلى يخدم محمد بن الحنفية دهراً (وهو ابن الإمام على، وعم الإمام السجاد عليهما السلام). وما كان يشك فى أنه إمام حتى أتاه ذات يوم، فقال له: جعلت فداك إن لى حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) إلّا أخبرتنى أنت الإمام الذى فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: فقال: يا أبا خالد حلّفتنى بالعظيم. الإمام علىٌّ بن الحسين (ع) عَلَىَّ وعلَيك وعلى كلِّ مسلم. فأقبل أبو خالد لَمَّا أن سمع محمد ابن الحنفية، وجاء إلى على بن الحسين (ع) فلما استأذن عليه أُخبر أن ابا خالد بالباب، فأذن له. فلما دخل عليه ودنا منه، قال: مرحباً يا كنكر. ما كنت لنا بزائر ما بد لك فينا؟. فخر أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من على بن الحسين (ع)، فقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى عرفت إمامى. فقال له على (ع): وكيف عرفت إمامك يا ابا خالد؟. قال: إنك دعوتنى باسمى الذى سمَّتنى به أمى التى ولدتنى. وقد كنت فى عمياء من أمرى، ولقد خدمت محمد ابن الحنفية عمراً من عمرى ولا أشك أنه إمام، حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله تعالى وحرمة رسوله (ص) وبحرمة أمير المؤمنين (ع) فأرشدنى إليك، وقال: هو الإمام عَلَىَّ وعلَيك وعلى جميع خلق الله كلهم. ثم أذنت لى فجئت فدنوت منك وسمَّيتنى باسمى الذى سمَّتنى أمى، فعلمت أنك الإمام الذى فرض الله طاعته عَلَىَّ وعلى كلِّ مسلم» [۴۸] . ۳- ويذكر الشيخ الطوسى القصة التالية أيضاً: خرج على بن الحسين (ع) إلى مكة حاجّاً حتى انتهى إلى واد بين مكة والمدينة، فإذا هو برجل يقطع الطريق، قال: فقال لعلى إنزل. قال: تريد ماذا؟. قال: أريد أن أقتلك وآخذ ما معك. قال: فأنا أُقاسمك ما معى وأُحِلُّك. قال: فقال اللص: لا. قال: فدع معى ما أتبلّغ به. فأبى. قال: فأين ربك؟. قال: نائم. قال: فإذا أَسَدانِ مُقبلان بين يَديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجلَيه. قال: زعمتَ أنّ ربك عنك نائم [۴۹] . ۴- ومن كراماته صلوات الله وسلامه عليه، ما ظهر عند وفاته. فلقد توفى الإمام بعد أن دس إليه الأمويون السم فى عام (۹۴) فى شهر محرم فى اليوم الخامس والعشرين، وقيل فى اليوم الثامن عشر. وفى تلك السنة توفى طائفة من الفقهاء حتى سميت سنة الفقهاء. ولست استبعد أن يكون النظام الأموى فى عهد الوليد بن عبد الملك قد دس السم إلى المعارضين وفيهم كبار الفقهاء من أمثال سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير. وجاء فى التواريخ أنه توفى فى تلك السنة عامة فقهاء المدينة [۵۰] . وهل يعقل أن يموت كل الفقهاء فى سنة واحدة صدفةً، علماً بأن المعروف أن الإمام السجاد (ع) استشهد متأثراً بالسم الذى دسه إليه عبد الملك بن مروان فى ظروف غامضة. وكيفما كان الأمر فقد ظهرت عند وفاته كرامات منه (ع)، فقد أُغمى عليه فبقى ساعة ثم رفع عنه الثوب ثم قال:

«الحمد لله الذی أورثنا الجنة نتبوَّأ منها حیث نشاء فنعم أجر العاملین» ثم قال: «احفروا لی (قبراً) وابلُغوا إلی الرسخ (الثابت من الأرض) ثم مد الثوب علیه فمات» [۵۱] . وظهرت بعد وفاته الکرامة التی ینقلها سعید بن المسیّب، وبها نختم هذه الصفحات المشرقة بحیاة الإمام زین العابدین (ع). فقد روی عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهری، عن سعید بن المسیب، وعبد الرزاق، عن معمر، عن علی بن زید قال: قلت لسعید بن المسیب إنک أخبرتنی أن علی بن الحسین النفس الزکیة وأنک لا تعرف له نظیراً؟. قال: کذلک، وما هو مجهول ما أقول فیه. والله ما رؤی مثله. قال علی بن زید: فقلتُ: والله إنّ هذه الحجة الوکیدة علیک یا سعید فلم لم تصلِّ علی جنازته؟. فقال: إنّ القرّاء کانوا لایخرجون إلی مکة حتی یخرج علی بن الحسین (ع). فخرج وخرجنا معه ألف راکب، فلمّا صرنا بالسقیا نزل فصلّی وسجد سجدة الشکر.. وفی روایة الزهری، عن سعید بن المسیب قال: کان القوم لایخرجون من مکة حتی یخرج علی بن الحسین سید العابدین. فخرج (ع) فخرجت معه فنزل فی بعض المنازل فصلَّی رکعتین فسبَّح فی سجوده، فلم یبق شجر ولا مدر إلّا سبَّحوا معه، ففزعنا. فرفع رأسه وقال: یا سعید أفزعت؟ قلت: نعم یابن رسول الله. فقال: هذا التسبیح الأعظم. حدثنی أبی عن جدی عن رسول الله (ص) أنه قال: لا تبقی الذنوب مع هذا التسبیح، فقلت: علمنا. وفی روایة علی بن زید، عن سعید بن المسیب أنّه: سبح فی سجوده فلم یبق حوله شجرة ولا مدرة إلّا سبّحت بتسبیحه، ففزعت من ذلک وأصحابی. ثم قال: «یا سعید إن الله جل جلاله لما خلق جبرئیل ألهمه هذا التسبیح فسبَّحت السماوات ومن فیهن لتسبیحه الأعظم. وهو إسم الله جلَّ وعزَّ الأکبر. یا سعید أخبرنی أبی الحسین، عن أبیه، عن رسول الله (ص) عن جبرئیل، عن الله جلَّ جلالَه أنه قال: ما من عبد من عبادی آمن بی وصدّق بک وصلَّی فی مسجدک رکعتین علی خلاء من الناس إلّا غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». فلم أرَ شاهداً أفضل من علی بن الحسین (ع) حیث حدثنی بهذا الحدیث. فلما أن مات شهد جنازته البر والفاجر، وأثنی علیه الصالح والطالح، وانها لو یتبعونه حتی وضعت الجنازة فقلت: إن أدرکت الرکعتین یوماً من الدهر فالیوم هو. ولم یبق إلّا رجل وامرأة، ثم خرجا إلی الجنازة، وَثبتُ لأصلِّی فجاء تکبیر من السماء فأجابه تکبیر من الأرض، وأجابه تکبیر من السماء فأجابه تکبیر من الأرض، ففزعتُ وسقطتُ علی وجهی، فکبر من فی السماء سبعاً ومن فی الأرض سبعاً وصُلِّی علی علی بن الحسین صلوات الله علیهما ودخل الناس المسجد فلم أدرک الرکعتین ولا الصلاة علی علی بن الحسین صلوات الله علیهما، فقلت: یا سعید لو کنت أنا لم أختر إلّا الصلاة علی علی بن الحسین، إن هذا لهو الخسران المبین، فبکی سعید، ثم قال: ما أردت إلّا الخیر لیتنی کنت صلّیت علیه، فإنه ما رؤی مثله [۵۲] .

پاورقی

[۱] نهج البلاغة (المعجم المفهرس ص ۶۸).

[۲] المصدر: (ص ۷۰).

[۳] المصدر: (ص ۷۰).

[۴] بحار الأنوار: (ج ۲۷، ص ۵۷).

[۵] المصدر: (ص ۵۶).

[۶] المصدر: (ص ۵۷).

[۷] أی باب الطاعة للنبی وأوصیائه المصدر: (ص ۱۸۰).

[۸] المصدر: (ص ۱۸۰).

[۹] المصدر: (ص ۲۰۱).

[۱۰] نفقت الدابة ماتت (القاموس).

[۱۱] بحار الأنوار: (ص ۶۱ – ۶۳).

[۱۲] سوف نذكر بعضاً منها فی خاتمة الكتاب.

[۱۳] يعنی ارفع رجلك - أو رحلك - عن المركوب، واركب مطيتی حتی تدرك الحج.

[۱۴] قصة إبراهيم - بحار الأنوار: (۳ / ج ۳۶).

[۱۵] زبالة: اسم موضع بطريق مكة.

[۱۶] المصدر: (ص ۴۰ - ۴۱).

[۱۷] المصدر: (ص ۴۹).

[۱۸] فی رحاب أئمة أهل البيت: (ج ۳، ص ۲۳۴).

[۱۹] مفاتيح الجنان: (ص ۱۲۴).

[۲۰] بح: (ص ۵۷).

[۲۱] قصته فی المسجد الحرام مع طاووس.

[۲۲] قال له ذلك عندما همّ الطغاة رميه فی النار عبر المنجنيق.

[۲۳] المصدر: (ص ۶۷).

[۲۴] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۵۱ - ۵۳).

[۲۵] اعتمدنا فی بعض ما ذكرنا علی رواية مأثورة عن الإمام الرضا (ع) فی بحار الأنوار (ج ۴۶، ص ۸) حيث ذكر ان حادثة أسر بنات يزدجرد كانت فی عهد عثمان خلافاً لبعض الروايات التی ترى أنها وقعت فی عهد عمر، وهی بعيدة عن السياق التاريخی لمجمل الأحداث كفتح خراسان وتاريخ ولادة الإمام زين العابدين وما أشبه.

[۲۶] ناسخ التواريخ: (ج ۲، ص ۱۴۰).

[۲۷] المصدر: (ص ۱۴۱).

[۲۸] عوالم العلوم: (ج ۱۸، ص ۱۷۹).

[۲۹] المصدر: (ص ۲۸۰).

[۳۰] المصدر: (ص ۱۸۲).

[۳۱] عوالم العلوم: (ج ۱۸، ص ۲۸۱).

[۳۲] المصدر: (ص ۲۸۲).

[۳۳] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۱۳۳).

[۳۴] عوالم العلوم (ج ۱۸، ص ۲۸۳).

[۳۵] فی رحاب أئمة أهل البيت: (ج ۳، ص ۱۹۶).

[۳۶] المصدر: (ص ۱۹۶).

[۳۷] المصدر: (ص ۱۹۸).

[۳۸] المصدر: (ص ۱۹۹).

[۳۹] المصدر.

[۴۰] المصدر: (ص ۲۰۹).

[۴۱] المصدر: (ص ۲۰۹).

[۴۲] المصدر.

[۴۳] ناسخ التواريخ: (ج ۲ فی حياة الإمام زين العابدين ص ۲۴۱).

[۴۴] بحار الأنوار: (ج ۴۵، ص ۱۳۸ - ۱۳۹).

[۴۵] فی رحاب أهل البيت: (ج ۳، ص ۲۴۹).

[۴۶] فی رحاب أئمة أهل البيت: (ج ۳، ص ۲۱۶).

[۴۷] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۴۴).

[۴۸] المصدر: (ص ۴۶).

[۴۹] المصدر: (ص ۴۱).

[۵۰] المصدر: (ص ۱۵۴) نقلاً عن تذكرة الخواص: (ص ۱۸۷) (طبعة إيران) وعن تاريخ ابن عساكر.

[۵۱] المصدر: (ص ۱۵۳).

[۵۲] المصدر: (ص ۱۴۹ - ۱۵۰).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز
القائمیه
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریه
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩